مجلة شعرية

Issue No: 99 | العدد
November 2015 تشرين الثاني

نـــــور المسيـــح
ΦΩΣ XPIΣTOY

جمعية نور المسيح ، رقم:٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب.٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

القدّيس نكتاريوس
أسقف المدن الخمس

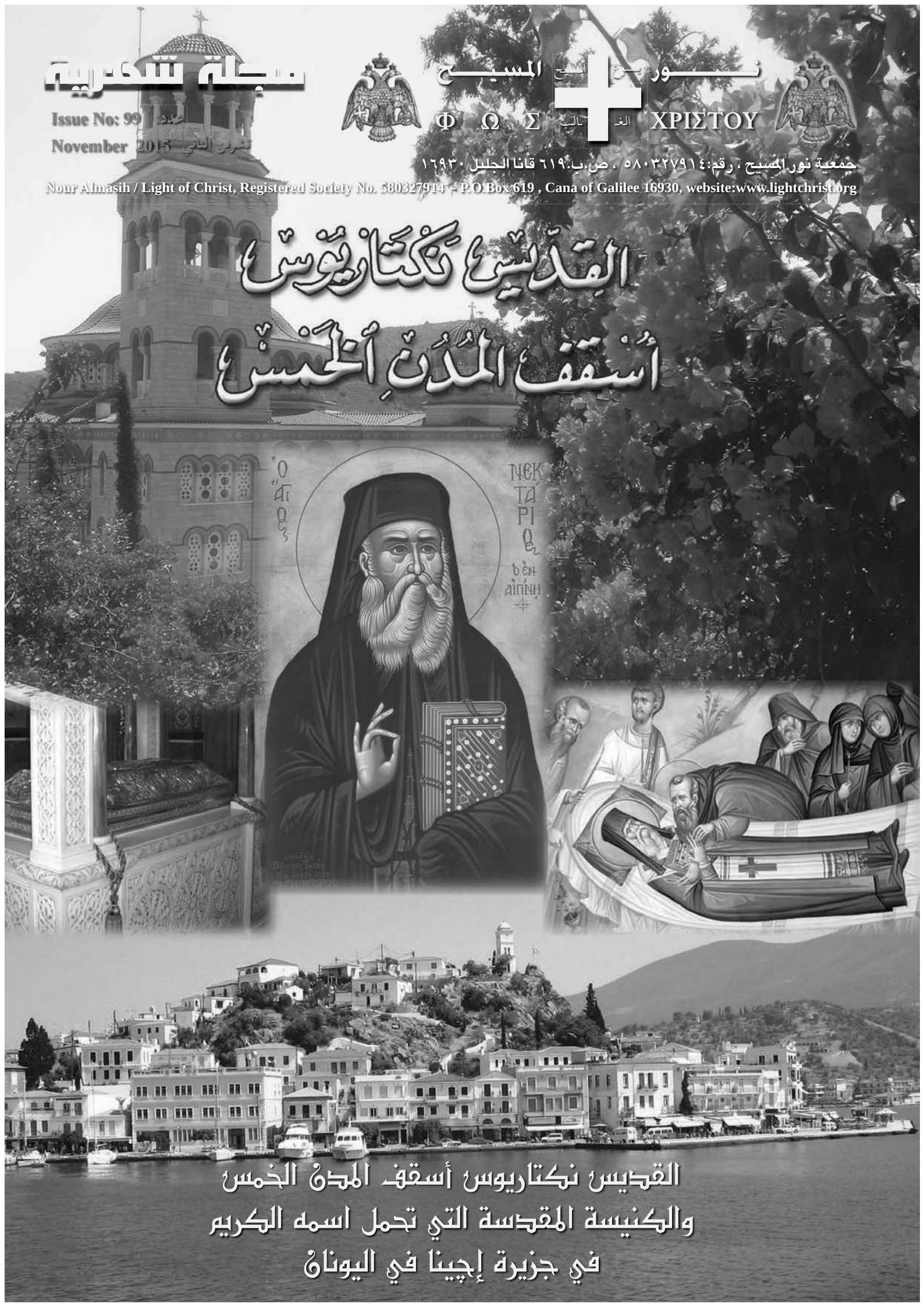

القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس
والكنيسة المقدسة التي تحمل اسمه الكريم
في جزيرة إچينا في اليونان

محتويات العدد

2	نبع الحياة
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
4	كيف تصلي للقديس باسيليوس الكبير
5	القديس كاسيانوس الرومي الجزء الثاني والأخير
7	المسيح في رسائل القديس يوحنا اللاهوتي
8	الأسرار
9	عظيمٌ هو سرّ التقوى اللّه ظهر بالجسد
12	القديس نكتاريوس العجائبي
14	المدخل إلى إنجيل متّى
16	الرخمة المصرية
17	سلاميس
18	لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة
20	الأرابع
21	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
22	العظات الثماني عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
23	العهد القديم ٨٣
الغلاف الأخير	تضحية أم

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا - الشارع الرئيسي - ص. ب. ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول : هشام خشيبون – سكرتير جمعية نور المسيح

نبع الحياة

في احدى غابات (السويد) كان هناك بيت في مزرعة يسكنه رجلٌ عجوز. ولما مات وضعوه في قبرٍ كان عبارة عن حُفرةٍ في الأرض على طرف المزرعة.

والشيء العجيب أنه أوصَى قبْلَ موته أن يوضَع تحت رأسه كتابٌ ضخمٌ غريب الشكلِ. ولما فتحوه وجدوا فيه أحداثًا مرَّت في حياة الرجل، وعَرفوا أنه كان عالمًا مشهورًا ، يجيد عدة لغات وموهوبًا في الموسيقى.

ولكنه أضاع كلّ شيء بإدمانه على الخمر، حتى ساءت صحته، وأصابه الضعف ونبذه الجميع. فعاش في عُزلَةٍ في هذا المكان البعيد عن الناس.

وُضِعَ في حُفْرَةٍ، وَوُضِعَ كتابه تحت رأسه، وأُهيلَ عليه التراب، وتَوارى عن العالم الذي أضاع حياته فيه بعيدًا عن صُحبة الله، الذي كان قَد يُنقذه مما هو فيه.

عزيزي

إنّنا كثيرًا ما تَسمو بنا أحلام ٱليقَظَةِ فوق السّحاب، تصنع لنا أجنحة من ذهب، ونُصبح كالطيور نُحَلِّق في اعالي السّماء. ولكن سريعًا ما نسقط على واقعٍ مُؤلم يجذبنا بشِدَّةٍ إلى الأسفَل، فَنَرْتَطِمُ بواقعٍ أقسَى من حجر الصوَّان.

وبين الأحلام والواقع يتبادر الى ذهني دائمًا سؤال يحيّرني: **أينَ أنا من واقع حياتي ؟**

إنّ العَذاب كُلّ العذاب ، هو **البُعد عن الله المصَدر الحقيقي للحياة.**

كثيرًا ما نَخلِق من الوَهمِ خيالاً، ونخلق من أحلام ٱليقظة وسادة نسند إليها رؤوسنا. وبعدها نستيقظ على حقيقة **ضياع العمر سُدَى.**

عندها تكون عروق قلوبنا قد أصابها التَصَلُّب ، ولم تعُد قادرة على التواصل **بنبع الحياة**، مصدر حياتي وحياتك.

إنّ الله هو مصدر حياة هذا الكون، وعندما أذهَب بعيدًا، عندما انفَصِل عن هذا المصدَرالذي خَلَقني، أتوه وَأَضِلّ الطريق ويحلّ الظلام.

كم من الناس حَدَّثونا في الماضي عمّا يُريدون إنجازه من اعمالٍ، وأخبرونا عن آمالهم الواسعة في الحياة. ولَم يخطر ببالهم مُطلقًا أنّهم في مثل هذا اليوم، سيكونون ضمن سكان القبور.

لقد اختفوا فجأة عن كُل عين. لقد ابتلع الزمن آمالهم وأمانيهم. وأين هُمُ الآن ؟ في جوف الأرض وقد تبخَّرت جميع آمالهم في أجسامهم ٱلمنحلّة.

إنّنا نحيا هنا في دار لا حقَّ لنا فيها، ولصاحِبها – **وهو الربّ** – الحقّ أن يُخرِجنا منها في أيّ وقتٍ يُريد فيه ذلك.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تكريس هيكل القديس جوارجيوس في مدينة اللد

« لقد سلكتَ سلوكًا ينطبق علَى معنى اسمك يا جاورجيوس الجندي العظيم. فانّك حملت صليب المسيح على منكبَيك. وحرثت الأرض التي بارت بالضلالة الشيطانية، واستأصلتَ عبادة الأوثان المُشوِّكة. وغرستَ كرمة الإيمان القويم. فاصبحت حرّاثًا للثالوث القدوس بارًّا. تبسط فروع الأشفية لكل مَن في المسكونة من المؤمنين. فنطلب إليك أن تتشفّع في سلام العالم وخلاص نفوسنا » (الذكصا على اللحن السادس – صلاة الغروب).

غبطة البطريرك ثيوفيلوس الثالث

أيها الأبناء المحبوبون بالربّ الفادي يسوع المسيح
أيها الزوّار الحسنو العبادة

إنّ مرتّم الكنيسة يَبسِط أمامنا بكل دقّة وبأجلى بيان ، شخصيّة القديس جوارجيوس العظيم ، لأنّ هذه الشخصيّة تتمتّع بميزة خاصّة وفريدة بين جميع قدّيسي الكنيسة وشهدائها . وبهذه المناسبة العطرة، نحتفل في هذا اليوم بتدشين هذا الصرح الروحاني العظيم الذي يحمل اسمه الكريم ، في هذه البلدة القديمة ، المدوّنة في ثنايا صفحات الكتاب المقدّس ، والمدعوّة بمدينة اللد. حيثُ قطنت فيها القديسة بوليخرونيا الشهيدة. والدة القديس جوارجيوس اللابسِ حلّةَ الظفر.

إنّ استشهاد القديس جوارجيوس تعبيرًا عن محبّته القصوى للمسيح ، أضحت الباكورة التي منها بارت الضلالة الشيطانيّة، واستأصلت عبادة الأوثان المُشوِّكة ، فأينعت من خلال زرع كرمة الإيمان المسيحيّ القويم أي الحقيقة المخلّصة ، المسيح كلمة اللّه.

هذا الاستشهاد حدث في حيّزٍ من المكان والزمان في عصر الاضطهاد ، عندما كانت الإمبراطوريّة الرومانيّة، تقوم بعمليات القمع والتنكيل والإبادة لكنيسة المسيح بوحشيّة، وتمارس أقصى أنواع العذابات البربريّة ، فإنها كانت تُغرِّق الشهداء بدمائهم الزكيّة ، ظَنًا منها بأن آلات التعذيب هذه ستؤتي نفعًا، وتعيد لهم أمجاد آلهتهم الكَذَبة الزائفة ؛ لكن أصحاب السدّة في الإمبراطوريّة الرومانيّة، أصابهم اليأس والقنوط، لمعاينتهم صلابة الإيمان المسيحي وعزيمة الشهداء الباسلة .

هكذا كان أيضًا **الإمبراطور الروماني ديوكليتيانوس** الذي حكَمَ ما بين (٢٨٤-٣٠٥م) ، ففي فترة حكمة الاستبداديّ ، ترعرع قديسنا العظيم جوارجيوس ونشأ على أسّ الإيمان القويم ، فثابر بنشاط واجتهاد متسربلًا حُلَّة الشَّهامة والجهاد. لذلك عُرِفت هذه الفترة التي اضطهدّ فيها الإمبراطور الروماني ديوكليتيانوس الكنيسة بـ **(عصر الاضطهاد والاستشهاد)**، والذي يُعتبر الأوّل من نوعه في العالم ؛ ففيه مورِسَت العذابات المهولة القاسية التي لا تَعرف الرحمة لها طريقًا. فقد استشهد مئات الآلاف من أبناء الكنيسة، الذين عبّروا عن صدق إيمانهم ومحبّتهم للمسيح.

هنا، فإنّ من شهادات الشهداء الصادقين في إيمانهم كشهادة القديس جوارجيوس؛ كنيسة أورشليم ورعيتها الحسنة العبادة ، التي ما زالت تجاهد الجهاد الحسن بأسم المسيح. هذه الرعيّة الروميّة المتألّمة، تتعاضد مع آلام وجهادات القديس جوارجيوس العظيم ؛ فهو لها شفيعٌ وناصرٌ ، معتبرة إيّاه قديس الروميّة. ذلك لأن القديس جوارجيوس المظفّر، والذي يُعتَبر عبدًا أمينًا للعدل والمحبّة الكاملتين للمسيح ، صارَ المحرّر للمأسورين ، وعاضدًا للفقراء والمساكين ، وطبيبًا للمرضى ، ونصيرًا للملوك . وبالإضافة لذلك، وكما يقول مرتّم الكنيسة، فالقديس جوارجيوس هو ينبوع شفاعة لجميع المؤمنين في المسكونة قاطبةً.

نعم، حقًّا أيها الأخوة الأحباء بالمسيح، فإنّ القديس جوارجيوس هو ينبوعُ شفاعةٍ للجميع ، وبدون تفرقة للمؤمنين وللساجدين لرُفاته الموقّرة.

هلمُّ ولننظر ما يقوله المرتّم:

« إنّكَ كالشمس المتنفسة ، التي أظهرتها بجهاداتك. تتبع شروط النظام الطبيعي بغروبك ، لكنّك تُشرِق من الأرض برفاتك ، فإنّك متشحًا بالضياء ، تلمع بالروح القدس للمسكونة بأشعة الشفاء ، أيها القديس العظيم جوارجيوس العاضد للمؤمنين».

من ناحية أخرى ، إن السبب لاجتماعنا الاحتفالي في مدينة القديس جوارجيوس . يچورچيوبوليس . وفي هذه الكنيسة التي تحمل اسمه. ليس إلاّ عيد تذكار لوضع رفات الشفاعة في قبره الفارغ.

نعم فالشهيد العظيم جوارجيوس (قد غَرُبَ حسب نظام الطبيعة) أي أخلى شخصه وذاته حسب الشروط الطبيعيّة ، فرَقَدَ ودُفِن. وكونه كالشمس المتنفسة، فهو يُشرق من الأرض برفاته الكريمة، وهذا لأنّ جسده الذي قُطِّعَ إرْبًا وأجزاءً من خلال آلامه الرهيبة الفظّة ، إعتُبِرَ الشهيد الأمين للمسيح المُشِّع كلّه ، نفسًا وجسدًا بأشعة الروح القدس اللامعة الضياء.

بكلام آخر ، القديس جوارجيوس المظفّر يُشرق كالشمس متنفسًا، ليس فقط من الناحيتين المعنويّة والمجازيّة ، لكنه بطريقة طبيعيّة، وبذات ملمس حسيّ ، هذا لأنّه القديس الذي وصلَ إلى درجة التألّه (ثيؤوسيس) ، يعني ٱستحقّ الشركة مع شمس العدل ونور تعليم ومعرفة حقيقة المسيح ابن الله الذي ألَّهَهُ بالطبيعة البشريّة.

« أيها الابن المولود قبل الدهور من الآب غير المولود مساويًا لهُ في الصورة. لقد حللت أيضًا في العذراء في آخر الأزمنة بواسطة الروح القدس متمسكنًا. وتجسَّدت منها. فألَّهتَ طبيعة البشر يا يسوع إلهنا»

هذا هو بالضبط، وبكل تدقيق ما تمارسة كنيستنا المقدسة فإنها تُعيّد وتحتفل لتألّه الخميرة البشريّة، بشخص القديس العظيم جوارجيوس ، لذا فنحنُ نتضرّع ونتشفّع به لنوال المصالحة والسلام للعالم كلّه ، وخاصة لمنطقتنا التي تمرّ وتخضع لتجارب عديدة وكثيرة . آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيف تُصَلّي ؟ القديس باسيليوس الكبير

كيف تقف أمام الله ؟! وماذا تقول ؟! وماذا تفعل إذا لم تَنَل ما تطلبه، أو إذا توسّلت كثيرًا ولم تأخذ شيئًا ؟! ماذا عن طياشة الأفكار في الصلاة. ما هو علاجها ؟! وما مدى المسؤوليّة فيها ؟! وهل تعرف بأنّك خاطىء ؟! وإذا كانت سريرتك (ضميرك ونيّتك) لا تُبَكّتك على شيء ؟! فما الحاجة إلى الصلاة، والله يعرف كلّ ما نحتاج إليه ؟!

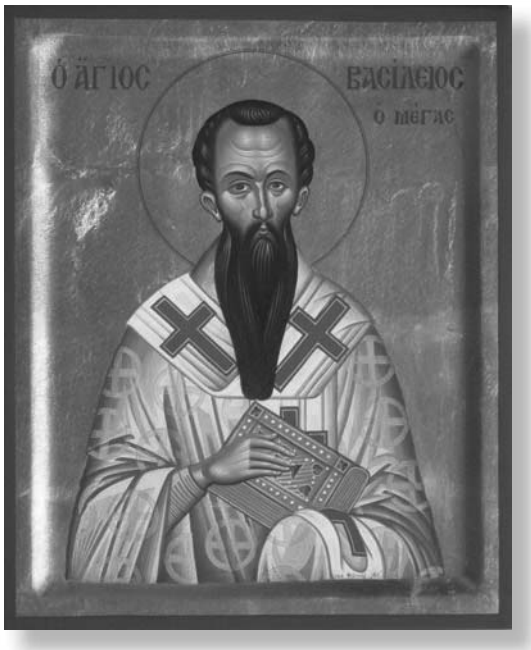

القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كبادوكية

† فلا يَصغر قلبك – أيها الأخ – إن لم تَنَل ما سألته . فإنّ ربنا الصالح لو عَلِمَ إنك لا تُفسد النعمة ، إذا أعطاك إيّاها سريعًا بدون تعب ولا طلب – لأعطاك قبل أن تسأله ، فهو يصنع هذا بك كما ينبغي .

† وإذا كان الذي أخذ الوزنة – وحفظها سالمة كما أخذها – أُلْقِيَ إلى الحاكم ، لأنّه لم يعمل بها ويربح . فالذي يُفسِد النعمة ، التي تُعطَى له ، أي ّ حُكمٍ (سجنٍ) يستحق أن يُطرَح فيه ؟!

† وإذا كان قد عَرفنا هذا – يا حبيب – فإن حَقَّقنا طَلبنا سريعًا ، فلنحفظ النعمة ، ونشكر عليها . وإن تأخّر علينا الأمر ، فلنثبت شاكرين الربّ ، وقلبنا طَيِّب ، عالمين إن جميع ما يصنعه الله من أجل خلاصنا ، بتدبير لا نُدْرِكُه .

† فلا تَحزن قُلوبنا ، ولا تَنْحَل (تضعف إرادتنا) وتملّ من الطلبة . ومن أجل هذا ، ضَرَبَ لنا الربّ مَثَل الأرملة المجتهدة في السؤال (راجع لوقا ١٨) . وبهذا تظهر قوّة عزمنا وامانتنا (ثقتنا) في الله إذا لم ننل مطالبنا بسرعة وثبتنا شاكرين .

† فلنشكر ربنا – كل حين – لنستحق خيراته الدّائمة ، له المجد إلى الأبد ، آمين .

إن كان لسانك متعودًا على كثرة الكلام، فقلبك منطفىء من حركات الروح النيّرة. أما إذا كان فمك ساكتًا بهدوء، فقلبك يشتعل دومًا من حرارة الرّوح. إن كنت تتكلّم بلسانك، وقلبك لا يتحرّك بالصلاة، فكلامك هو خسارة. سَكِّت لسانك ليتكلَّم قلبك ... وَسَكِّت قلبك ليتكلّم اللّه !

القديس يوحنا السُّلّمي

القديس كاسيانوس الرّومي (الجزء الثاني)

تعليمه

١) الكمال الرهباني:

يُعتبر الكتابان اللذان وَضعهما كاسيانوس «المعاهد» وَ «المحاورات» هما الماچناكارتا Magna Charta أي «الخريطة العُظمى» للحياة الرهبانية. وبواسطة هذين الكتابين أدخل كاسيانوس منهج الرهبنة الشرقية وخبرتها إلى الحياة المرتجلة لرهبنة الغال.

يعلّم كاسيانوس أن الأديرة تواصل الحياة الرسوليّة، أي حياة الكنيسة الأولى في أورشليم المجتمعة حول الرسل. والمؤمنون الذين يحفظون في أنفسهم غيرة الرسل يتركون المدن لكي يحيوا مثال الجماعة الرسوليّة بعيدًا عن تلوثات العالم. (conf. 18,5)

الرهبان ليسوا مبتدعين. إنّ جذورهم موجودة في تقليد العصر الرسولي. الذي أبرَز متطلباته هي (١) التخلّي عن كُل أشكال التملّك. (٢) ترك المشيئة الذّاتية عن طريق الطاعة. (٣) تكريس الذّات كليةً بالتعفّف الجسدي ونقاوة القلب. ورغم أن الرهبنة في أصلها هي حركة حياة مشتركة، إلاّ أن كاسيانوس يميّز بين صورتين تتحققان بها: الأولى حياة الشركة، والثانية التوحد.

النوع الأوّل يعيشون حياة مشتركة كما فعلت الجماعة الرسولية. النوع الثاني يتمثّل بالناسكين بولا وانطونيوس، وإذ يتبع هؤلاء الرهبان نمط الأسكندريين في التوحد، فإنّهم يجدون مَثَلَهُم الأعلى في الرجال القديسين، مثل إيليا وإليشع في العهد القديم ويوحنا المعمدان في العهد الجديد. وهؤلاء هم الذين يفضّلهم كاسيانوس باعتبارهم «أسمى من الكُلّ» . (Jns. 5, 36)

ولا يقدّم كاسيانوس تعليمًا روحانيًا نظاميًا ومنسقًا. فبناء تعليمه الذي تأثّر بشدّة، بشخصية المتكلّم وبطريقة السؤال والجواب في «المحاورات». يعتمد على الكتاب المقدّس، وعلى تقاليد الشيوخ، وعلى الاختيار الشخصي. وتبدأ الحياة الرهبانية بدعوة من الله، ولكن قاعدة الخروج، هي دعوة للتخلّي، كما أنها دعوة لاتباع الله في نفس الوقت. الراهب هو شخص يحيا – فوق كُلّ شيء – حياة إنكار الذّات. فالرهبان «لكي يوضحوا رغبتهم في التحوّل إلى الله، ينبغي أن يبدأوا بالتخلي عن العالم» (Ins. 4,1) ، ومعه تجرّد خارجي ومادي مصحوب بالتخلّي عن العادات الرديئة، وعن الشهوات والرذائل. إنه صراع روحاني ضدّ الإنسان الجسداني، وضدّ ضربات وَحِيَل إبليس. هذا الصراع – الذي هو بعيد تمامًا عن أن يدمّر الإنسان، فهو يحفّز كلّ قوّة إرادته للعمل من أجل أن يَصِل به إلى الكمال الإنجيلي.

التطهر من الرذائل يسير جنبًا إلى جَنب مع اقتناء الفضائل، خاصَةً فضائل الإفراز والتواضع والصبر، التي تجعل الرذائل تفرّ هاربة وتجعل العفّة تزدهر، هذه العمليّة تُهيّء الراهب لتأمل الإلهيات، وتجلب نقاوة القلب والهدوء والسلام. وهذه تقابل حالة عدم الهوى apatheia (أباثيا) عند النساك الشرقيين (conf. 1,7) . وهذه النقاوة والهدوء والسلام هي المرحلة الأولى في الطريق إلى الكمال، وتوازي مرحلة «الشَركة» التي يسميها كاسيانوس Scientia spiritualis أي المعرفة الروحانية. وبذلك فإنّ الراهب الآن يمكنه أن يدخل وحده في عُزلة البرية، وأن يُدخل اخوة آخرين إلى الطريق الذي سار فيه هو نفسه. وذروة الحياة الروحانية هذه تتميّز – فوق كُلّ شيء – بأن تَصل الصلاة حتى إلى حالة الدهش، الشهوة الروحانية، والفرح الذي لا يمكن وَصفه.

وتمتلىء النفس بالثمار الروحانية، وتظلّ ملتصقة بالله في صلاةٍ بلا انقطاع (conf. 4,2). هذه الأفراح الروحانية، تكون مقترنة من الناحية الأخرى بتطهيرات النفس، وتجارب من كل نوع، والتي تؤدّي إلى التجرّد من كل الروابط، لكي تستطيع النفس أن تستسلم لمشيئة الله في مسكنة (فَقر) مُطْلَقة .. في هذه الحالة الجديدة، التي يمكن أن يُطلَق عليها أنها حالة عُرسٍ، يتم الزواج الروحاني، وهو الرباط الحميم الذي يشير إليه الآباء بتعبير «الاتحاد» (conf. 10,7) . هذه الحالة من المحبة تمنح بساطة البراءة والاستقامة الأصليّة للشخص الذي قد جُعِلَ كاملًا. (conf 10,11) .

٢) من الكتاب المقدّس إلى صلاة النّار

يُعطي كاسيانوس أهمية أساسيّة – في إرشاده الرهباني – للكتاب المقدّس وللصلاة، وكل منهما يقود إلى الآخر بواسطة عمل الفاعل نفسه، وهو الروح القدس. الكتاب المقدّس بالنسبة للراهب هو الكتاب ومادة القراءة بلا منازع. والاقتباسات الكتابية الموجودة في كتابي «المعاهد» و «المحاورات» والتأملات المتنوعة في الكتاب

المقدس، إنما هي معيار للمكان الأوّل الذي تشغله الكُتب المقدسة في الروحانية الرهبانية. ويظهر واضحًا بدرجة مساوية تأثير أوريجينوس أيضًا. وإن كان البلوغ إلى ملكوت الله هو الغاية المطلوبة فإنّ قراءة الكتاب بمواظبة والتأمل فيه تشكّل الوسائل المضمونة للوصول إلى هناك. فينبغي أن يَلهَج الراهب دائمًا بجزء من النصوص المقدّسة ويتأمّل فيها، مثلاً؛ مقطع من المزامير لكي ينجح في أن يدخل إلى أعماقه، أي المعنى الروحاني، بنقاوة قلب. وهذا يصدق بنوعٍ خاص على المزامير. فَمُهِمّة الراهب هي أن يمتلك «الصلاة الكتابية» لدرجة أنها تصير هي صلاته الشخصيّة. فالأب نستور يقول: «جاهِد لكي تلصق نفسك بمواظبة القراءة المقدّسة، حتى أنّ هذا الهذيذ المستمر يُمكن في النهاية أن يَرفع نفسك ويشكّلها – كما لو كان – عَلى شَكلها» (conf 14,10) إذًا، فالراهب لا يعود بعد ذلك مردّدًا للنص باعتباره من عمل النبي الكاتب، بل كأنّه هو نفسه المؤلّف، وباعتبار القراءة هي صَلاته الشخصية. ولا يعتبر هذا ابتعادًا وتشتّتًا عن مسؤولياته الشخصيّة بالمرّة، بل إنّ الهذيذ المستمر في الكتاب المقدس يركّز أرواحنا حول المدلول الحقيقي لعملنا، وحول الشخص الذي (يلهم أم يلهج) به. ومثل هذه الممارسة مثلما هي تُطَهِّر وَتُغَيِّر روحنا، فهي في الوقت نفسه أيضًا تجدّد وجه الكتاب المقدّس. يقول كاسيانوس: «وينمو ملازمًا لتقدمنا، جمال معنى أكثر عُمقًا» (conf 14,11) . هذا الهذيذ في الكتاب المقدّس يتيح للراهب أن يكتشف وراء النصّ، «حضور ذاك الذي أوحَى به». إنه يقود إلى حوار ، يقود إلى صلاة تظلّ فيها النفس صامتة بالأكثر مما يعطي لله الفرصة أن يتكلّم، وبهذه الطريقة يتمّ إدراك ما يفوق الإدراك. هذه «الصلاة الدائمة» تحقق في النهاية النموذج الرهباني الذي يُعَرِّفه كاسيانوس بأنّه الالتصاق المستمرّ بالإلهيّات وبالله (conf.1,8). والتعبير النهائي عنه «صلاة النّار»، «النظرة الداخليّة تكون مثبتة على الله وحده، نار واحدة عظيمة من الحبّ». هذه الفكرة استهوت كاسيانوس وَفَتَنَتْهُ. يقول كاسيانوس: «هذه الصلاة ما هي إلّا شُعلةٌ من نار وقليلون جدًا الذين يعرفونها. وهي لا يمكن التعبير عنها، وَتَعلو كُلَّ إدراك بَشري. فالنفس إذ تستنير ببهاءٍ من فوق، لا تعود تُعَبِّر عن نفسها بكلماتٍ بشريّة، التي هي بطبيعتها غير كافية لمثل هذه الحقائق. فالنفس يكون عندها فورة تنبع من أقدس العواطف، وهي مصدر متدفّق منه تفيض الصلاة بِغِنَى وَوَفْرَة، وتمتد حتى تَصِل إلى الله، بطريقة لا تَقبل الوصف» (conf. 9,25).

والصلاة تشغل مساحة كبيرة في كتابات كاسيانوس الرّومي، وعدد من «المحاورات» تدور حول الصلاة (10،9) وأيضًا «المعاهد» (3،2). ويعمل تفسيرًا مختصرًا للصلاة الربّانيّة ، ويتحدّث عن أربعة أشكال للصلاة بحسب نموذج بولس الرسول. وقمّة هذه الأشكال هي «صلاة النّار» التي فيها يتداخل الكتاب والصلاة معًا (conf. 9,18-25).

٣) نعمة اللّه وإرادة الإنسان

واضحٌ جدًا موقف كاسيانوس بخصوص علاقة النعمة بِحُرِّيَة الاختيار. فقد اتخذ موقفًا مُضادًا ضد البيلاجية التي تجعل إرادة الإنسان وفضيلته لها الدور الأكبر في خلاص الإنسان، حتى أنه يلغي تقريبًا دور النعمة، ولهذا لم يَرَ بيلاجيوس لزومًا لتعميد الأطفال، ولذلك كتَب ضدّه البارّ أغسطينوس معطيًا كل الدور تقريبًا للنعمة. فقد كتَب كاسيانوس ضدّ البلاجية في كتابه التجسد، واعتبر انحرافات نسطور راجعة إلى تأثير البلاجية.

وتعليم كاسيانوس عن النعمة في كتابه «المعاهد» يقدّم التعليم الأرثوذكسي التقليدي عن ضرورة النعمة، التي بدونها لا يكون أي شيء ممكنًا (Inst 5,21) وهو متوافق مع تعليم **القديس يوحنا الذهبي الفم** (في عظة ٤ على التكوين ص١).

كان كاسيانوس مقتنعًا تمامًا، أنه يسير في نفس خَط الإيمان التقليدي الذي اتخذ إلهَامَهُ في هذا الخصوص، من اللاهوتيين والمعلّمين الروحانيين في الشرق، وخاصَة القديس يوحنا الذهبي الفم. ولأن كاسيانوس الرومي كان معلمًا روحانيًا ومرشِدًا نفسيًا أكثر من كونه لاهوتيًا عقلانيًا، يفحص الأمور التي ما وراء الطبيعة، فإنّه – فوق كلّ شيء – كان مُوَجِهًا للنفوس التي كان يُعَلِّمها الجهاد الروحي. لذلك كان يُعالج الأمر بطريقة عملية، وليست نظريّة عقلانيّة. أنكَرَ كاسيانوس أي تعيين مُسبَق للشَرّ، وكُلّ استبداد شامل لأي إنسان من إمكانيّة الخلاص، وأَكَّدَ أنّه حتى بدايات نيّات الإنسان الصالحة تأتي من الله (con3,19) .

فهو يصف السلوك العملي الذي ينبغي أن يتّبعه الراهب الذي يستدعي كل الوسائل المتاحة للحريّة الشخصيّة. وفي نفس الوقت يتوقع كلّ شيء من النعمة. ويتبع التقليد الشرقي مؤكّدًا أن سقوط الإنسان لم يُؤَدِّ إلى فَساد مُطلَق للإنسان، وأنَّ صورة الله لم تَتَلاشَ كليًا من الإنسان بالسقوط ولكنها تشوّهت فقط، ولذلك فيمكن أن تظلّ عند الإنسان الإمكانية أن يصنع خيرًا. فرغم أنّ الإنسان صارَ ضعيفًا وساقطًا، فلا يزال قادرًا على أن يعمل بعض الأعمال الصالحة. «فآدم بسقوطه لم يفقد معرفة الصلاح التي كان قد نالها»

ويحاول كاسيانوس الرّومي أن يجمع الأمرين معًا «أي ضرورة النعمة وحريّة الإنسان في أن يحبّ اللّه أو يرفضه» (conf 13,12) دون أن يبحث بعمق في العلاقة التي بين الاثنتين. ويمكن أن نعتبر أن كاسيانوس اتخذ طريقًا وَسَطًا بين اتجاهات البلاجية التي رفضها بوضوح، وبين تشدّد بعض عبارات أغسطينوس، ويمكن اعتبار تعليمه حسب رأى البعض أنه نصف أُغسطيني، أو الأفضل أن يُقال أغسطينية مخفّفة.

المرجع:

Patrology Vol. IV, edited by Angelo Diber Nadino Introd. By J. Qusten.

المسيح في رسائل القديس يوحنا اللاهوتي البشير (٢)

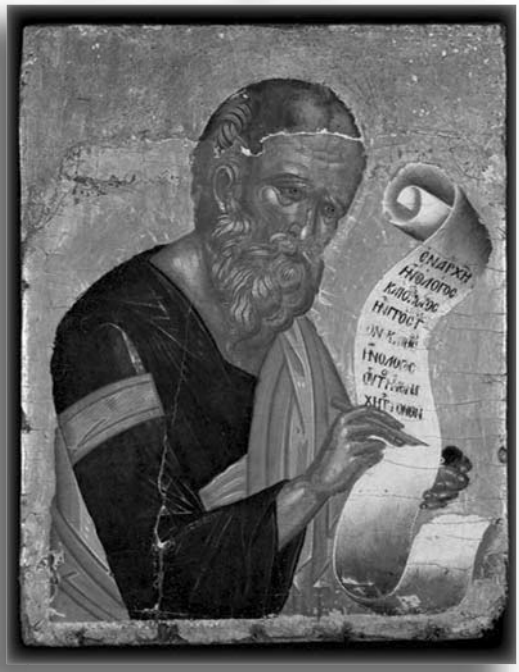

٢- ابن اللّه (ὁ Υἱὸς τοῦ Θεοῦ)

رأينا كيف أن تعبير «كلمة الحياة» يشرح العلاقة الجوهريّة بين الآب والابن ويوضح العمل التدبيري للابن في كل تاريخ الاعلان ٱلإلهي. غير أن القديس يوحنا يستخدم تعبيرات خريستولوجية أخرى ليؤكّد بها على ألوهيّة السيّد المسيح, وعن علاقته بالآب والعالم. أهم هذه التعبيرات هو تعبير «ابن الله». هذا التعبير الذي يستمد قوّته من خلال علاقة حقيقية وطبيعية، يدل بوضوح على العلاقة بين الآب والابن. ولقد ورد هذا التعبير ومشتقاته ٢٣ مرّة في الرسائل. ويُظهِر – أكثر من أي مكان آخر استُخدِمَ فيه العهد الجديد – هذه العلاقة بين الآب والابن، ويبيّن أهمية ٱلاعتراف بهذا الإيمان (أي أنّ المسيح هو ابن الله) في الكنيسة الأولى.

ويركّز القديس يوحنا ليس فقط في الإنجيل (يو١:١٤،١٨) بل أيضًا في الرسائل على أن المسيح هو الابن الوحيد (١يو٤:٩) الذي كان عند الآب، وهو الذي أرسله الآب إلى العالم (١يو٥:٢٠،١٤،٤:١٠).

علاقة الآب – الابن، حسب القديس يوحنا توضّح طريقة «ولادة» ، «ووجود» ، «وجوهر» الابن، في علاقته بالآب، وتشهد على العلاقة الداخلية بينهما، كما يوضح القديس كيرللس ٱلإسكندري، الذي يمثّل هذه العلاقة كعلاقة الشمس بالشعاع وعلاقة النار باللهب. وفي هذه العلاقة تبقى الشمس والنار بغير تغيير أو تبديل. فالابن هو من جوهر الآب، ولهذا فهو واحد معه في الجوهر وواحد معه في الأزليّة.

وفي التجسّد أصبحت الطبيعة ٱلإلهيّة غير المرئية في أعمال ابن الله. ووحدة طبيعة الآب والابن, تبيّن أصالة ٱلابن، وأنه واحدٌ في الجوهر مع الآب, وأنه غير منفصل عنه البتّة، وحسب طبيعة هذه العلاقة، فإنّ هناك مساواة بين الآب والابن، ليس فقط في تاريخ الإعلان ٱلإلهي والذي يمكن أن نستشّفه من الآية «تكون معكم نعمة ورحمة من الله الآب, ومن الربّ يسوع المسيح ابن الآب بالحقّ والمحبّة» (٢يو٣) ، بل أن هذه المساواة أيضًا في الأبديّة حيث « لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البارّ» (١يو٢:١). فشفاعة ٱلابن لنا، عند الآب هي نتيجة لهذه العلاقة والمساواة بينهما في الجوهر. وبسبب ٱرتباط ٱلابن بالآب، فإنّ الابن وحده هو الذي يعرف الآب، ولأن الابن في الآب والآب في الابن وبالتالي مَن له الآب له الابن أيضًا ، وفقط مَن يعترف بالابن له الله الآب (١يو٢:٢٢-٢٣؛ ٤:٢-٤، ٢يو٩).

والاعتراف بيسوع ابنًا لله، يؤدّي حتمًا إلى علاقة وثبوت متبادل في الله «مَن ٱعتَرَفَ بيسوع هو ٱبن الله فالله يثبت فيه وهو في الله» (١يو٤:١٥). بل إنه عن طريق يسوع ابن الله تتحقّق شركة المؤمنين «بالآب وبابنه يسوع المسيح» (١يو١:٣).

ورسالة ٱلابن، ٱبن ٱلله في العالم ليست هي كشفية فقط «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحقّ» (١يو٥:٢٠)، لكنها أيضًا **رسالة خلاصيّة كفّاريّة**.

فالآب يُرسل ابنه مخلّصًا للعالم (١يو١:١٤)، والخلاص الذي تمّ به تحقّق بطُرق كثيرة:

أولاً: العالم يعيش في ظلمة بعيدًا عن الله. فالابن إذ هو الحياة، أصبح هو الواسطة التي يستطيع بها الإنسان أن يَغلب العالم «مَن هو الذي يغلب العالم إلاَّ الذي يؤمن أن المسيح هو ابن الله » (١يو ٥:٥)، «مَن له الابن فله الحياة ومَن ليس له ابن الله فليست له الحياة» (١يو٥:١٢). فالإيمان والاعتراف بيسوع كابن لله يؤدّي إلى الولادة من الله «كل من يؤمن أن يسوع هو المسيح فقد وُلِدَ من الله» (١يو٥:١) ونوال الحياة الأبديّة «كتبت إليكم أنتم المؤمنين باسم ٱبن الله لكي تعلموا أن لكم حياة أبديّة» (١يو٥:١٣) وهذه الولادة تفترض وجود معرفة بالله «ونعلم أنّ ٱبن ٱلله قد جاء إلى العالم وأعطانا بصيرة لنعرف الحقّ ونحن في (الله) الحقّ » (١يو٥:٢٠).

ومسيرة ٱلإله نحو الإنسان، مصدرها ومحرّكها هو محبّة الله غير المحدودة للإنسان. فظهور الابن بالتجسد هو اظهار لمحبة الله للبشر، «بهذا أُظهِرَت محبة الله فينا أنّ الله قد أرسَلَ ٱبنه الوحيد إلى العالم» (١يو٤:٩، ١). وعلامة قُبول المؤمنين لله ولابنه هي الثبوت في تعليم الابن «كل من تعدّى ولم يثبت في تعاليم المسيح فليس له الله ومَن يثبت في تعليم المسيح فهذا له الآب والابن جميعًا» (٢يو٩). ومما قيل يتّضَح أنه بحضور ٱلابن إلى العالم فإنّه عَبَّر عن عِظَمِ محبّة الله للبَشر، وأعلَن الله الحقيقي كما يعرفه هو وأعطَى امكانية بذلك أن يعرفه العالم، وأسّس علاقة داخلية بين المؤمنين وبين الله.

ومعرفة الله، المخلِّص، عن طريق سرّ الإعلان الإلهي تمثّل المرحلة الأولى في عملية خلاص الإنسان. وحسب القديس يوحنا فإنّ عملية الخلاص هذه تكتمل بالآلام الخلاصيّة لابن الله. وهكذا ظَهَرَ «لينقض أعمال إبليس» (١يو٣:٨). فتطهير الخطايا والولادة من جديد تتحققان بدم ابن الله «ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كلّ خطيئة» (١يو١:٧).

وموت يسوع المسيح الكفّاري يتخذ ابعادًا مسكونية (عالمية) طالما أنه «هو كفّارة لخطايانا ، وليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضًا» (١يو٢:١-٢). ونتيجة هذا الموت الكفاري تشمل لا خطايانا في الماضي فقط بل المستقبل أيضًا طالما أنه «إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البارّ» (١يو٢:١-٢).

وعلى الرغم من أنّ تعاليم القديس يوحنا عن الموت الكفاري هي مختصرة جدًّا في رسائله، ولا تأتي لها إشارة في إنجيله، حتى ولو بمعنى الموت الكَفَّاري أو أنه «كفّارة لخطايانا» حيث لم ترد هذه التعبيرات إلاّ في (١يو٢:١)، كما أن هذا التعبير لم يرد في أسفار العهد الجديد، إلاّ أن التعليم بالموت الكَفَّاري هو تعليم ثابت في نصوص العهد الجديد وإنجيل يوحنا. فالمسيح هو حَمَلُ الله الذي يرفع خطيئة العالم (يو١:٢٩،أع٨:٣٢، ١بط ١٨،١٩ : ١) . ومن جهة أخرى فإنّ تعاليم يوحنا الخريستولوجيّة عن «ابن الإنسان» تتضمّن ضرورة تحمّله للألم، والذي بدونه فإن رسالة المسيح تظلّ غير كاملة.

ولقد وجدت الكنيسة الأولى في آلام ابن الله لأجل خطايا العالم، تحقيقًا لنبوءات العهد القديم عن المسيا، كما جاء في سفر إشعيا النبي (٥٣:١-١٢). فالآلام تمثّل اكتمال رسالة ابن الله. فدم ابن الله يطهّرنا من كلّ خطيئة (١يو١:٧) انظر أيضًا (عب ٩:١٤، ١٠:٢٠،١٩،٢٩ ، ١بط١:١٩ ، رؤ١:٥ ، ٧:١٤ ، ١٢:١١)، وينقض أعمال إبليس (١يو٣:٨).

الأسرار Sacrements

يقول القاموس: «الأسرارُ هي الطقوسُ المقدّسةُ التي غايتها تقديسُ الإنسان». تحتلّ الأسرارُ المركزَ الرئيس في حياة الكنيسة وهدفُها أن تستعيدَ الإنسانَ بكلّيته، وفي كرامته ككائن مخلوق على صورة الله، ومدعوٍ ليصير شبيهًا به. كَتَبَ الأب مايندورف (مدخل إلى اللاهوت البيزنطي، ص ٢٥٣) يقول: «جوهر الأسرار ، أن نشترك في الحياة الإلهيّة (وهي حالة الإنسان الطبيعية) وأن ننتمي للمسيح يعني أن نكون له» ويضيف الأب ستانيلواي: «أنّها الوسائط التي تقوّي وحدتَنا مع الله».

ليست الأسرار أعمالًا منفردة يقوم بها أناسٌ مُكَرَّسون ليُوصلوا بواسطتها نعمة «خاصة» لأفراد معينين، بل هي بالأحرى سَواقٍ تصبُّ في سرّ الكنيسة الوحيد الذي فيه يُشارك الله حياته الإلهيّة مع الناس، ويفديهم من الخطيئة والموت. السرُّ المسيحي هو سرٌّ فريد يتجلّى متميزًا في ممارسة كلٍّ واحد من الأسرار. والأسرارُ هي أيضًا شخصيةٌ اذ يحصل فيها المؤمنُ على نعمة تخصُّه بعد أن يُنادَى عليه باسمه. (وفي المعمودية نقول: يُعَمَّد عبد الله «فلان»، وفي المناولة: يُناوِلُ عبدُ الله «فلان»، وفي الإكليل: يُكَلَّل عبدُ الله «فلان» على أمة الله «فلانة». وحتى في الجناز نقول: إرحم عبدك «فلان») **وفي معظم الأسرار ، تستعمل الكنيسة مواد طبيعية مثل الماء والخمر والخبز والزيت وهي قنوات تنقل الروح القدس .**

عظيمٌ هو سرّ التقوى اللّه ظهر بالجسد

يقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «وبالإجماع عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر بالجسد، تبرَّر في الروح، تراءى لملائكة، كُرِزَ به بين الأُمم، أُومِن به في العالم، رُفِعَ في المجد» (١تي ٣: ١٦). هذه الآية، في بساطتها، تحوي أعماقًا لا حدود لها، لأنها تتضمن أسرارًا لا حَصْرَ لها، ولأنها تشمل كل مراحل حياة المسيح، مِن تجسُّده إلى صعوده، كما أنها تُعرِّفنا بسرِّ التقوى.

فبدايةً، فإنَّ هذا هو ما أجمَعَت عليه الكنيسة، أنه «عظيم هو سرُّ التقوى». والتقوى هي مخافة الله، وقد رأت الكنيسة كلها، واعترف بولس الرسول وأعلن ذلك بالإجماع، بأنَّ التقوى سرٌّ عظيم. فما هو هذا السرُّ العظيم؟

لقد كشف لنا الرسول أنَّ مدخل هذا السرِّ العظيمِ هو: «الله ظهر بالجسد». فظهور الله بالجسد هو سرُّ التقوى، فهو الذي عرَّفنا كيف نتَّقي الله، وكيف نعبده بالروح والحق. وهو الذي عرَّفنا ما هو «السرُّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أُظهر لقديسيه» (كو١: ٢٦). وهو الذي قال عنه بولس الرسول في رسالته إلى أفسس: «لي أنا أصغر جميع القديسين، أُعطِيَتْ هذه النعمة، أن أُبشِّر بين الأُمم بغِنَى المسيح الذي لا يُستَقصَى، وأُنير الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح» (أف٣: ٨،٩). فالله بتجسُّده أعاد خلقتنا من جديد: «إذًا إن كان أحدٌ في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو ٥: ١٧).

ويُعلِّق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على ذلك قائلًا:

﴿ دعا الرب التدبير الإلهي من أجلنا سرًّا، وجيِّدٌ أن يُسمَّى هكذا، طالما أنه لم يُظهَر للجميع، بل إنه لم يُكشَف أيضًا للملائكة، فكيف يمكن أن يكون الأمر هكذا، وهو قد عُرِفَ للكنيسة (أف ٣: ١٠)؟ لذلك يقول (الرسول): «وبدون جدل (أي بالإجماع) عظيمٌ هو هذا السرُّ». فبالتأكيد هو عظيمٌ، لأن الله صار إنسانًا، والإنسان صار إلهًا. ورأينا إنسانًا بلا خطيئة! إنسانًا استقبلناه، وكُرِزَ به في العالم! ومعنا رأته الملائكة. هذا هو بالحقيقة سرٌّ (عظيم)! دعنا لا نُفشِي هذا السرَّ؛ بل دعنا لا نَعْرِضُهُ بَخْسًا في كل مكان، ولكن ليتنا نعيش كما يحقُّ بهذا السرِّ. فأولئك الذين قد إتمنوا على سرٍّ لابدَّ أنهم رجال عِظام. فإننا نحسبها علامةً على الامتياز والحظوة إذا اتمَنَا مَلِكٌ على سرٍّ، بينما الله قد أودع سرَّه لنا، ومع ذلك فنحن لسنا شاكرين للمُحسن إلينا، كما لو كُنَّا لم نقبل أعظم العطايا. إنَّ عدم إحساسنا بمثل هذا التفضُّل والإحسان ينبغي أن يُصيبنا بالهلع﴾.

فلنبدأ، إذن، بتعمُّقنا في معنى السرِّ: فالسرُّ من حيث تعريفه هو الحق المُعلَن من الله، باعتباره يفوق أي قوة طبيعية من المنطق أن يفهمه أو يُدركه:

١. فهو حقٌّ، والذي بواسطته نستبعد كل شيء من أن يكون سرًّا إن كان مُنافيًا للعقل، أو متناقضًا مع المنطق.

٢. وبما أنه مُعلَن من الله، فهو يعني بالنسبة لوجوده أنه كائن كما قد أُعلن عنه. أما بالنسبة لطبيعته ذاتها، أو لصفاتٍ أخرى يمكن معرفتها عنه، فإن استعلانها أو كشفها لا يُفترض البوح به، أو كشفه إلاَّ لحدٍّ مُعيَّن.

٣. فهو يتجاوز كل القدرات الطبيعية للمنطق لِسَبرِ أغواره.

٤. وهو شيء لا يقدر المنطق الطبيعي، حتى بعد استعلانه، أن يُدركه إدراكًا تامًا، وأقول: أن يُدركه، أي أن يفهمه فهمًا كاملًا. كما عبَّر عن ذلك القديس بولس الرسول بقوله: «فإننا ننظر الآن في مرآة، في لُغز، لكن حينئذ وجهًا لوجه. الآن أعرف بعض المعرفة، لكن حينئذ سأعرف كما عُرِفْتُ» (١كو ١٣: ١٢).

٥. وبما أنَّ العقيدة الإيمانية في أصل تأسيسها، كان القصد منها أن تُعطي انطباعًا بالرهبة والتوقير والمخافة في عقول البشر، لذلك كان كل ما يتعلَّق بها بعيد عن الأنظار، وليس في إمكاننا الوصول إليه. حتى أنَّ الله حينما حلَّ بمجده على جبل حوريب، طلب من موسى أن يُقيم حدودًا حول الجبل لا يتعدَّاها أحد ولا

يقترب منها إنسان أو بهيمة: «وحدث في اليوم الثالث لمّا كان الصباح، أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوقٍ شديد جدًّا. فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلَّة لملاقاة الله. فوقفوا أسفل الجبل. وكان جبل سيناء كله يُدخِّن من أجل أن الربَّ نزل عليه بالنار... ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى: تكلَّم أنت معنا فنسمع، ولا يتكلَّم معنا الله لئلا نموت» (خر ١٩: ١٦-١٨؛ ٢٠: ١٨،١٩). كما أنَّ موسى عند نزوله من الجبل صار جِلْدُ وجهه يلمع بسبب كلامه مع الله. فلما نظر هارون وجميع بني إسرائيل ذلك خافوا أن يقتربوا إليه، حتى أنَّ موسى اضطر أن يجعل على وجهه برقعًا، عند كلامه معهم (انظر خر ٣٤: ٢٩-٣٣). وهكذا قدس الأقداس، لم يكن مسموحًا لأحد أن يدخله أو حتى أن يُحدِّقَ بِه؛ بل إنَّ رئيس الكهنة نفسه لم يكن مُتاحًا له أن يدخل سوى مرة واحدة في السنة.

٦. فالسرُّ أمرٌ مخفيٌّ على البشر، ليس فقط في الحاضر؛ بل حتى لو كان سرًّا واستُعلِن الآن، فإنه سرٌّ، ويُدعى باللغة الإنجليزية: MYSTERY ؛ وهو من الكلمة اليونانية: MYΣTHPION. والمعنى الكتابي لهذه الكلمة، هو أنه أمرٌ يفوق حدود الفهم الطبيعي، ويمكن إدراكه بالاستعلان الإلهي في الوقت المُعَيَّن من الله، وبالطريقة التي يُحدِّدها الله ولأولئك الذين استناروا بالروح القدس. لذلك يقول الكتاب: «الرب عزٌّ لاتقيائهِ ويوضح عهده لهم » (مز ٢٤: ١٤)؛ «لأن السيد الرب لا يصنع أمرًا إلَّا وهو يُعلِن سرَّه لعبيده الأنبياء» (عا ٣: ٧)، «قد أُعطي لكم أن تعرفوا سرَّ ملكوت الله، وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء، لكي يُبصروا مُبصرين ولا ينظروا، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا، لئلا يرجعوا فتُغفَر لهم خطاياهم» (مر ٤: ١١،١٢).

استعلان السرِّ الإلهي:

تكلَّم الله في بدء الأزمنة، فخلق بكلمته السموات والأرض وكل ما فيها، وكان «روح الله يرفُّ على وجه المياه». وعند خلقته للإنسان قال: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦) مستخدمًا صيغة الجمع، فَخَلَق الإنسان على صورته ومثاله. وتكلَّم الله مع آدم في الفردوس بعد أن خلق له مُعينًا نظيره، وبعد أن أعطاه وصيةً واحدةً لكي يحفظها، فتكون له رباط الحب الذي يربط الإنسان بخالقه إذا أطاعه بملء حريته. ولكن آدم لم يحفظ الوصية بغواية الحيَّة، فدخل الموت إلى العالم **بحسد إبليس**، مما استلزم تجسُّد الله الكلمة لكي يعتق الإنسان من حُكْم الموت ويُعيد له صورته الأولى التي خلقه فيها. وفي هذا يقول **القديس إيرينيئوس**:

﴿ فإنه لهذه الغاية قد صار الكلمة إنسانًا، وصار ابن الله ابنًا للإنسان لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة، فينال التبنِّي ويصير ابنًا لله. فإننا لم نكن نستطيع بوسيلة أخرى أن نحصل على عدم الفساد والخلود، إلاَّ باتحادنا بالذي هو عدم الفساد والخلود. وكيف كان يمكن أن نتَّحد بالذي هو عدم الفساد والخلود، لو لم يكن هو نفسه أولًا قد صار على حالنا، حتى يُبتلع الفاسد من عدم الفساد، ويُبتلع المائت من عدم الموت، فننال التبنِّي؟!﴾

ويشرح ذلك أيضًا بأكثر إسهاب **القديس أثناسيوس الكبير** في كتابه عن ''تجسُّد الكلمة''، قائلًا:

﴿ وإذ رأى ''الكلمة'' أنَّ فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلَّا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمَّل الكلمة الموت لأنه غير مائت، ولأنه ابن الآب؛ لهذا أخذ لنفسه جسدًا قابلًا للموت، حتى باتحاده بالكلمة، الذي هو فوق الكل، يكون جديرًا لأن يموت نيابة عن الكل، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحلَّ فيه وحتى يتحرَّر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من بين الأموات. وإذ قدَّم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة، فقد رفع حُكْم الموت فورًا عن جميع مَن ناب عنهم، إذ قدَّم عِوَضًا عنهم جسدًا مماثلًا لأجسادهم ﴾.

† لذلك قال بولس الرسول: «وبالإجماع عظيمٌ هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد». فإنه عظيمٌ حقًّا هو سرُّ التقوى، لأنه سرُّ مَن لا بداية له ولا نهاية، فهو سرُّ الله الذي «أخلى نفسه، آخذًا صورة عبد، صائرًا في شِبْه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب» (في ٢: ٧،٨). فهو ليس سرًّا لكونه ما زال محتجبًا ومخفيًا، بل هو سرٌّ عظيم وسامٍ جدًّا، لأنه نَبَعَ من حضن الآب، ومن عُمق أعماق حكمته وتدبيره لأجل خلاص الإنسان.

† وهو سرٌّ عظيم من حيث هدفه وغايته: لكونه جَمَعَ بين الله والإنسان، الإنسان الذي سقط، والله الذي أعاده ثانيةً إلى رتبته، ناقلًا إيَّاه من عمق البؤس والشقاء، إلى أسمى درجات العزَّة والمجد.

† وهو عظيمٌ حقًّا، لأن فيه كملت وتحقَّقت مواعيد الله للآباء ولكل جنس البشر حسب قول بولس الرسول: «وأقول: إنَّ يسوع المسيح قد صار خادم الختان، من أجل صِدْق الله، حتى يُثبِّت مواعيد الآباء. وأمَّا الأمم فمجَّدوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب: من أجل ذلك سأحمدك في الأُمم وأُرتِّل لاسمك» (رو ١٥: ٨،٩).

† وهو سرٌّ عظيمٌ أيضًا لأنه ما زال فعَّالًا، وسيبقى هكذا إلى أبد الدهور: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر، آمين» (مت ٢٨: ٢٠). فنحن نكتشف كل يوم ما يحويه من أسرار ونِعَم: «ومِن ملئه نحن جميعًا أخذنا، ونعمة فوق نعمة» (يو ١: ١٦). لأنه يُغيِّر كلَّ الذين عرفوه وآمنوا به: «ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآةٍ، نتغيَّر إلى تلك الصورة

عينها، من مجدٍ إلى مجدٍ، كما من الرب الروح» (٢كو ٣: ١٨).

لذلك يُطالبنا بولس الرسول أن نُسلِّم أنفسنا لعمل هذا السرّ فينا وقوة فاعليته في حياتنا بقوله: «فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تُقدِّموا أجسادكم ذبيحةً حيَّةً مُقدَّسةً مَرْضيَّةً عند الله، عبادتكم العقلية. ولا تُشاكلوا هذا الدهر، بل تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المَرْضِيَّة الكاملة» (رو ١٢: ١، ٢).

† وكلُّ مَن آمن بهذا السرّ وقَبِلَه في حياته أُعطِيَ أن يتكلَّم «بحكمةٍ ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر، الذين يُبْطَلون. بل نتكلَّم بحكمة الله في سرٍّ: الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعيَّنها قبل الدهور لمجدنا» (١كو ٢: ٦، ٧).

† وهو أيضًا سرٌّ عظيم لأننا به عرفنا سرَّ الثالوث الأقدس: الآب والابن والروح القدس. الآب يشهد لابنه قائلًا: «هذا هو ابني الحبيب الذي به سُرِرْتُ» (مت ٣: ١٧)؛ والروح القدس يحلُّ مثل حمامة على الابن: «وإذا السموات قد انفتحت، فرأى روح الله نازلًا مثل حمامةٍ وآتيًا عليه» (مت ٣: ١٦). وكما استُعلن الثالوث الأقدس في معمودية المسيح، هكذا وضع لنا المسيح أن نعتمد باسم الآب والابن والروح القدس، لكي نولَد من الماء والروح، ونصير خليقة جديدة، ونُدعَى أولاد الله: «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه. الذين وُلِدوا ليس من دمٍ، ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله» (يو ١: ١٢، ١٣).

لذلك يقول أيضًا يوحنا الرسول: «فإنَّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحدٌ. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. والثلاثة هم في الواحد» (١يو ٥: ٧، ٨).

† وهو أيضًا سرٌّ عظيم، إذا قورن بكل الأسرار الأخرى. فالخَلْق سرٌّ عظيم لأنَّ به خلق الله كل المخلوقات من العدم، وصنع الإنسانَ – سيد المخلوقات – من تراب الأرض وجعله على صورته ومثاله. ولكن ماذا يكون هذا كله إذا قورن بسرِّ الله الذي صار إنسانًا؟ «عظيم هو سرُّ التقوى: الله ظهر في الجسد». فالمسيح هو صورة الله وبهاء مجده ورسم جوهره، لذلك صار إنسانًا لأنه لا أحد سواه يقدر أن يُعيد لنا صورته. وهو ابن الله، ولا أحد إلَّا ٱبن الله ٱلوحيد يمكنه أن يجعلنا أبناء ٱلله.

ف «الكلمة صار جسدًا وحلَّ بيننا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا» (يو ١: ١٤)، فقد أخذ كل ما يخص الطبيعة البشرية، من نفس وجسد واتحد بهما، وشابهنا في كل شيء، لكي يُعطينا الذي له وهو روحه القدوس، كما نقول في التسبحة: ”هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له... هو أخذ جسدنا وأعطانا روحه القدوس، وجعلنا واحدًا معه من قِبَل صلاحه“.

فالابن ٱلوحيد صار مثلنا، إنسانًا كاملًا بنفسٍ وجسدٍ لكي يعتق جسدنا من الفساد والموت، ويُخلِّص النفس من الخطيئة والكبرياء والمكر. وفي هذا يقول **القديس كيرللس الكبير**:

﴿ أُريد أن أعرف ما هي الغاية من مجيئه إلينا، وكيف تأنَّس ولماذا؟ أليس من الواضح تمامًا، ولا يخفى على أحد أنَّ الابن الوحيد صار مثلنا، أي إنسانًا كاملًا، لكي يعتق جسدنا الأرضي من الفساد الذي اندس فيه؟ وكما أن الجسد لما صار جسدًا للكلمة الذي يُحيي الكل، تغلَّب على سلطان الموت والفساد؛ هكذا تمامًا أعتقد أن النفس لما صارت نفسًا للذي لا يعرف أن يخطىء، صارت في وضع ثابت ومستقر في جميع الخبرات، وصارت أقوى بلا قياس من الخطيئة التي كانت تتسلَّط عليها فيما مضى. فالمسيح أول إنسان «لم يفعل خطيئة ولا وُجد في فمه مكر» (١بط ٢: ٢٢)، وقد جُعل مثل أصلٍ وباكورة للذين يتغيَّرون عن شكلهم إلى جدَّة الحياة بالروح، وصار منذ الآن يُوصِّل إلى سائر جنس البشرية – بالمشاركة وبالنعمة – عدم فساد جسده وثبات واستقرار لاهوته﴾.

كما أنه في تجسُّده «في ما هو قد تألَّم مُجرَّبًا يقدر أن يُعين المجرَّبين» (عب ٢: ١٨). وفي هذا يقول **القديس غريغوريوس النزينزي**:

﴿ فلنصِرْ مثل المسيح، لأن المسيح أيضًا صار مثلنا. لنَصِرْ آلهة من أجله، لأنه هو أيضًا من أجلنا صار إنسانًا. لقد أخذ منَّا الأردأ لكي يُعطينا الأفضل. لقد افتقر لكي يُغنينا نحن بفقره (٢كو ٨: ٩). لقد أخذ شكل العبد لكي نستعيد نحن الحرية. لقد نزل لكي نرتفع نحن. لقد صار مُجرَّبًا لكي ننتصر نحن (في التجارب). أُهين لكي يُمجِّدنا. مات لكي يُخلِّصنا. صعد لكي يجذبنا إليه نحن المنطرحين في سقطة الخطيئة. ليت كل واحد يُقدِّم له كل شيء، ويصير مُثمرًا في كل شيء، للذي بذل نفسه فديةً عنا من أجل مصالحتنا!﴾

كما أنه بقيامته وصعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين الآب، قد أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويَّات بهذا الجسد الذي أخذه منا. وفي هذا يقول **القديس كيرللس الكبير**:

﴿ لقد ظهر الآن كإنسان أمام الآب لأجلنا، نحن الذين كنَّا مطروحين من أمام وجهه بسبب المعصية الأولى، ليوقفنا من جديد أمام وجه الآب؛ وجلس كابن ليجعلنا نحن أيضًا نُدعَى بسببه أبناءً وأولادًا لله. لذلك فالقديس بولس الذي يؤكِّد أنَّ المسيح هو المتكلِّم فيه، يُعلِّمنا أنَّ ما حدث للرب خاصةً، صار مِلْكًا مشتركًا للطبيعة البشرية، فيقول إنَّ الله «أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويَّات» (أف ٢: ٦)﴾.

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي أسقف المدن الخمس

سوتوس
خوندروبولوس

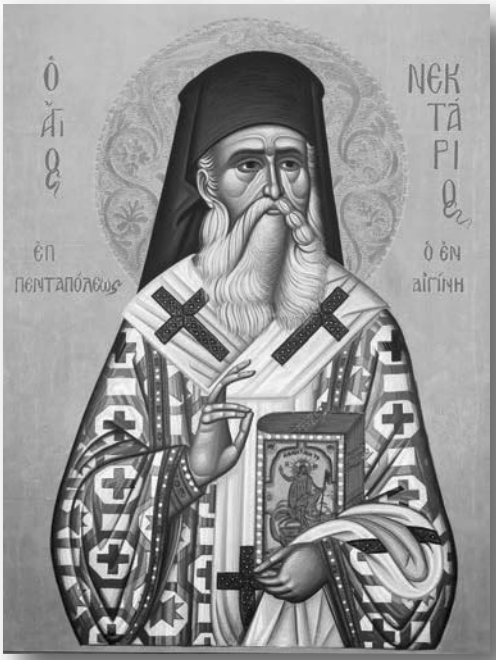

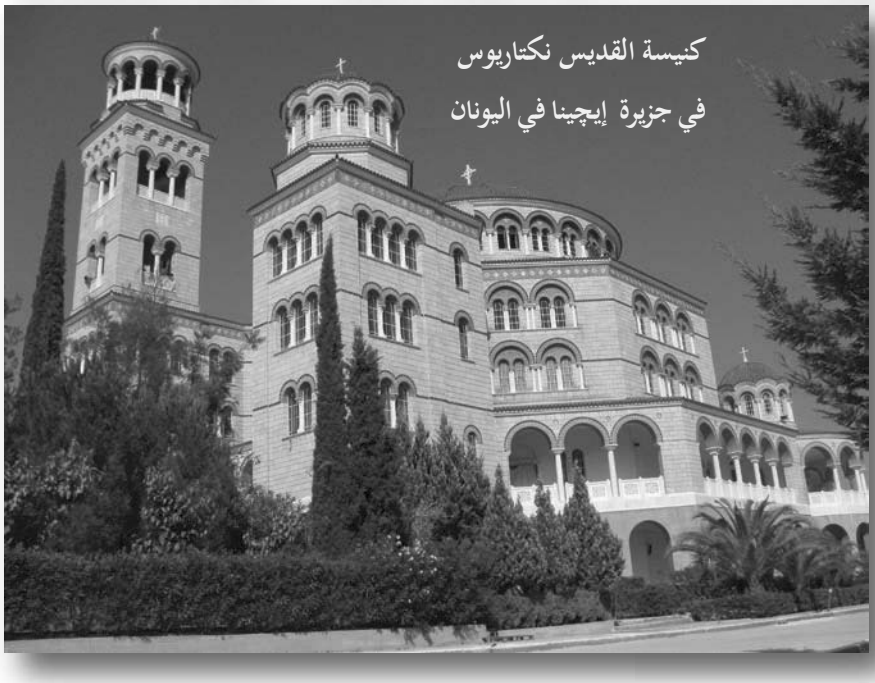
كنيسة القديس نكتاريوس
في جزيرة إيچينا في اليونان

الفصل الأوّل

«وإذ كان في أورشليم في عيد الفصح آمن كثيرون باسمه حين شاهدوا آياته التي صنعها. أما يسوع فلم يكن يأتمنهم على نفسه لأنه كان عارفًا بكل احد. ولأنه لم يكن محتاجًا إلى شهادة أحد عن الإنسان لأنه كان يعلم ما في الإنسان» (يو٢:٢٣-٢٥).

«حينئذ يدهش المستقيمون عجبًا وينهض الزكي على المنافق ويلزم الصديق طريقه ويزداد النقي اليدين قوّة» (أيوب ٨ :١٧ -٩).

الإسكندرية ١٨٩٠

لا نزال في عهد الملوك والسلاطين في أوروبا. فبعدما انتهت ثورة عرابي باشا، وما رافقها من اضطرابات وسرقات ومجازر وتدمير، أصبحت بلاد النيل، الخصبة والعريقة في القِدَم، في يد الانكليز الذين بدأوا بعملية الترميم وإعادة البناء.

في تلك الفترة كانت بلاد الفراعنة بمثابة الباب الذهبي للتقدّم والرُّقيّ لسكان المملكة اليونانية الصغيرة. فكان الناس يرحلون بأعداد كبيرة عن وطنهم الأم، الذي تحرّر لتوّه من الحُكم التركي، وعن جزر الأرخبيل الصغيرة، وآسيا الصغرى التي مازالت تحت نير العبودية، بل وحتى عن القسطنطينية، إلى مدينتي القاهرة والإسكندرية، سعيًا وراء العمل في التجارة والتوصل شيئًا فشيئًا إلى الثراء.

وكانت ٱلبطريركية ٱلأرثوذكسيّة في مدينة القديس مرقس في أوجها، تتعاون مع الطوائف ٱليونانية للنهوض بها وإرشادها روحانيًّا، فتبني الكنائس والمدارس، وتعزّز جذور النازحين إلى المدينة. ودورها هذا كان فريدًا لأن السكان الأصليين كانوا يعيشون في حالة من التأخّر الكامل ؛ كتلةً لا شكل لها تحت رحمة أوّل قادم ثري: فقراء مثل لعازر، وَسِخين، خائفين، يؤمنون بالخرافات ... ومستعدين للمجازفة بحياتهم من أجل بعض كسرات الخبز.

إنّه الربيع! الحادية عشرة صباحًا. الشمس الساطعة تبسط حرارتها على حدائق ڤيلات الباشوات الحافلة بالأزهار الكثيرة الألوان ... وفي داخل البطريركية، في مكتب صغير قريب من كنيسة القديس سابا، اجتمع بعد القدّاس الإلهيّ خمسة اكليريكيين وموظف متأنّق، يشربون القهوة في أقداح كبيرة ويتناقشون بأصواتٍ خافتة. كان بينهم ثلاثة كهنة برتبة ارشمندريت، يشغلون مناصب رئيسة في البطريركية، ومطران بلاد النوبة، وشمامٌ شابٌ.

وإذ سأل المطران بصوتٍ منخفض:

– «هل أنتم بالفعل خائفون من هذا المدعو نكتاريوس ؟»

أجابه الأرشمندريت:

– «لا يمكن أن تتصوّر يا صاحب السيادة مقدار الأذى والضرر الذي قد يلحقه بنا هذا المتعصّب».

ثمّ قال زميله:

– «نكتاريوس هذا متزمّت جدًّا، يرفض كل ما هو خارج حياة النُسك. انه لا يفهم الصراع الذي يدور في بلادنا، ولا سياستنا الدبلوماسية. لا يزال يظنّ نفسه في عهد الآباء الأولين، ويريد أن ”يخلّص النفوس“... تصوَّر ما قد يحدث لو انه سيم بطريركًا. سوف

يبدّد كل ما فعلناه: يوزّع الأموال على الفقراء، والسكان الأصليين، ويُفَرِّغ سريعًا خزينة البطريركية. سيجلب الويل لليونانيين، ولنا''

فتمتم المطران:

– «انت محقّ من جهةٍ، لكنه يحوز على إعجاب البطريرك وحبّه العظيم. لا تَنسَ أن نكتاريوس ابنه الروحي، وأنه درّبه بنشاط وحماس وباهتمامٍ أبوي كبير وجعل منه لاهوتيًّا لامعًا. أني أتوقع التعقيدات والصراعات ...

– «هل هذا رأيك؟ ولكن كل شيء سوف يتدبر !

– «وكيف ذلك؟ أشكّ كثيرًا في أن ...

– «تشكّ؟ إذن أنت غافلٌ عمّا يحصل!

– «أجل، فلقد وصلتني بعض الأخبار ...

– «إذن كُفّ عن الشكّ، فإذا علم البطريرك صفرونيوس، لتكن سنوه عديدة، بطريقة ماهرة بما يحيك ضدّه نكتاريوس، ماذا سيفعل؟ انه بلا رحمة فيما يتعلّق بالمسائل الأخلاقيّة. وستجده يرفع عصاه ويضرب! في تلك اللحظات تجده يسترجع صباه وقوّته ... يكفي أن يقوم شخصٌ رفيع المستوى باتهام نكتاريوس بالرياء ...

– «وهل يعمل نكتاريوس ضدّه بالفعل؟».

قبل الإجابة، أجال الأرشمندريت نظره حوله في جميع الجهات ليتأكّد من أن أحدًا لا يمكن أن يسمعه، ثمّ تنفّس عميقًا وقال:

– «بالفعل؟ ... هذا ما لا شَكّ فيه. وبإمكان امفيلوخيوس الحاضر هنا أن يعطيك براهين كثيرة. ماذا عندك لتقول لنا يا امفيلوخيوس ؟»

ابتسم الأب امفيلوخيوس بطريقة غامضة، وهمس قائلًا:

– «لقد تعبنا من الخبث كفاية، ومن الصعب جدًّا أن ننخدع، نحن موظفي البطريركية».

– ماذا تقصد ؟

– إنّه يقيم العلاقات مع النساء الجميلات اللواتي يوافينه مسرعات في وقتٍ متأخّر من الليل، أو عند انبلاج الفجر ... تحت ستار الحاجة للاعتراف ... وهو كثيرًا ما يمرّر التلميحات المبطّنة لمُعجباته من خلال عظاته ... نحن خبراء في هذه الأمور. وعلامات الشرّ لا تتغيّر.

– «طبعًا، طبعًا، أجاب المطران. ويقول بعضهم أيضًا إنّ ...»

فصرخ الأرشمندريت الثالث الجالس قبالة المكتب:

– إنّ طموحه سيتسبّب بإطاحته. لقد قال: ''شكرًا'' في ذلك اللقاء

– ليس هو من قال ''شكرًا'' بل المدعوون!

– لقد عرفت الكثيرين من الوصوليين والمحتالين، لكني اقسم أنها المرّة الأولى التي ألتَقي فيها بشخص مثله. أنا مشمئز يا إخوتي ومستاء. فهو يعمل بطريقة مدروسة، ومخطّطاته جهنّمية. انه يعمل على تأليب الشعب. وهذا ما يجب أن نشرحه للبطريرك بعناية ودقّة. فان ''صوت الشعب كالسيل الجامح'' ، كما يُقال! انه يحضّر الشعب للإطاحة بالبطريرك صفرونيوس الذي يقارب عامه التسعين. ويظن انه أصبح عاجزًا وغير نافع.

– «مَن منكم كان حاضرًا في ذلك اللقاء الإجرامي؟» سأل الموظف المتأنّق.

– معظمنا كان حاضرًا: امفيلوخيوس الحاضر هنا أولًا، والشماس على ما أعتقد أليس كذلك يا تريفُن ؟

– «أجل» أجاب الشماس بخجل

– صَفَّقَ له الجميع دون سبب، وصرخوا بعفوية: ستصبح بطريركًا عما قريب.

فأجابهم: «شكرًا».

فتمتم امفيلوخيوس:

– «هل بقي عندك مجال للشكّ ؟ إن كل شيء مهيّأ مُسبقًا يا صاحب السيادة. وكما قال لك أخونا العزيز منذ لحظة، انه يؤلب الشعب ضدنا. وللشعب دورٌ كبير جدًّا في أمورنا في هذا البلد. وها هي مدينة القاهرة بكاملها تتحدّث عن نكتاريوس. وينتظر الشعب الفرصة المناسبة حتى يدفعه للإحاطة بصفرونيوس والحلول محله».

فصرخ المطران:

– «يا للهول! ماذا ننتظر إذًا؟ علينا أن نقوم بالتدابير الضرورية لحماية البطريرك. فإنّ كلمة «شكرًا» التي أجاب بها الشعب هي دليلٌ قاطع على نواياه الخبيثة.

– تمامًا. وقد وضعتنا العناية الإلهيّة لنعمل ... غير أنّ ...

– تكلّم . ماذا يشغل بالك ؟

–أظن انه يلزمنا الكثير من الشجاعة والمهارة ...

– وهل هذا ينقصنا ؟

– لا اعتقد

فهتف المطران بحماس:

– إذن هيّا إلى العمل. أبلغوا جميع الذين على علمٍ بالأمر، وسأطلب بعد ظهر غد مقابلة. تمرّنوا جيّدًا وتحضّروا للإدلاء بشهاداتكم بوضوح ودقّة وبطريقة مقنعة. فإذا فشلنا لسوء الحظ لن يبقى علينا إلّا أن نذهب وندفن أنفسنا في الصحراء .

– «لا تَخف يا صاحب السيادة، فإنّ ما سنقدّمه للبطريرك من شهود ودلائل، سيجعله متحمّسًا لاستعمال عصاه، وبما أنك صرت الآن معنا فإنّ مصير نكتاريوس، أسقف المدن الخمس، محتومٌ منذ هذه اللحظة. لقد وقع بين أيدينا».

وضحك الأرشمندريت في سرّه .

وفي الخارج حَطَّ طيرٌ من الصحراء بين أوراق شجرةِ غارٍ بريّة للحظات، ثمّ طار وهو يُطلق ثلاث صيحات غريبة ومتوجّعة. (يتبع)

المدخل لدراسة إنجيل متّى

الكنيسة وإسرائيل

الإنجيل الأوّل – إنجيل متّى – اضطلع بمهمّة ٱلانتقال من العهد القديم إلى الجديد (كما ذكرنا سابقًا) فأَخَذ وظيفة إسرائيل مع كل أمجاده وسلّمهم للكنيسة لتكميل العهد الأبدي الذي قطعه الله مع الناس، ممثَّلين في الآباء (إبراهيم واسحق ويعقوب) حتى يتمّم خلاص البشرية

وظيفة إسرائيل

كانت مهمة إسرائيل حسب العهد الأبدي مع الآباء، هي أن يُظهِر مجد إله إسرائيل لشعوب الأرض من خلال **قداسة الحقّ والعدل والبرّ**. «وإن حلفت حيٌّ هو الرب **بالحقّ والعدل والبرّ فتتبرّك الشعوب به وبه يفتخرون**» (إر٤:٢). فالشعوب تتبارك بالحق والعدل وبرّ إله إسرائيل الذي يُستَعلَن في شَعبه. «ويتعالَى ربّ الجنود **بالعدل ويتقدّس الإله القدوس بالبرّ**» (إش٥:١٦). «هكذا قال الرب احفظوا **الحق واجروا العدل** لأنه قريبٌ مجيء خلاصي واستعلان **برّي**» (إش٥٦:١). فمُهِمّة إسرائيل الأولى كانت الشهادة لبرّ الله.

فَشل إسرائيل في مهمته

ولكن إسرائيل خَرَقَ العهد فسقط من الحق والعدل والبرّ بشهادة الأنبياء، «طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتّشوا في ساحاتها هل تجدون إنسانًا أو يوجد عاملٌ بالعدل طالبُ الحق فاصفَح عنها» (إر٥:١). ويقول إشعياء: «كيف صارت القرية الأمينة زانية؟ **ملآنة حقًّا كان العدل يبيت فيها**، وأما الآن فالقاتلون. صارت فضَّتُكِ زَغَلًا وَخَمرُكِ مَغشوشَةً بماءٍ. رؤساؤك متمرّدون ولُغفاء (شركاء) اللصوص. كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تَصِل إليهم » (اش١:٢١ –٢٣) لهذا صار إسرائيل مستعبدًا للشعوب بدلًا من قيادتهم لمعرفة الله.

بعد أن فشل إسرائيل في مهمته بشهادة جميع الأنبياء، يُعلن متّى في إنجيله مجيء ابن داود ليقيم خيمة داود الساقطة، ويعيد بناء إسرائيل ويردّ له المُلك حسب النبوءات. فمن بين ثنايا إسرائيل اختار الربّ تلاميذه، وأقام الكنيسة على الصخرة وأعطاها **مفاتيح الملكوت** «لأنه وإن كان شعبك يا إسرائيل كَرَمْلِ البحر ترجع بقية منه. قد قُضِيَ بفناءٍ فائِضٍ بالعدل» (إش١٠:٢٢). فبقية إسرائيل الراجعة للحقّ صارت الكنيسة، فتسلّمت عهد إبراهيم الأبدي مع كل مسئولياته. **أما إسرائيل الرافض للحقّ والعدل والبرّ** ، أصبح غير صالح لتحقيق مقاصد الله. فَحُوكِمَ بعدل الله، وٱنتُزِعَ منه العهد، وَعُزِلَ عن عمله في كَرم الربّ.

إنجيل مَتّى الذي كُتِبَ لليهود، يحتوي على أقوى عريضة إتّهام ضدّهم. بناءً على تلك الاتهامات الثابتة تمّ الحُكم النهائي عليهم بالرفض (ص١٩ إلى ٢٣) تحقيقًا للنبوءات. «فَمَتَى جاء صاحب الكرم ، ماذا يفعل بأولئك الكرّامين ؟ قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّم الكرم إلى كرّامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها ... لذلك أقول لكم إنّ **ملكوت اللّه يُنزع منكم** (أي من اليهود) ويُعطَى لِأُمَةٍ تعمل أثماره (الكنيسة)» (متّى ٢١:٤١ و٤٣). بعد أن عَرَضَ الربّ يسوع قضية إسرائيل في مَثَل الكرّامين الأردياء، لم يُصدِر الحُكم إلّا بعد ما استصدره منهم وعلى لسانهم أولًا. والحُكم الذي يُعلنه متّى هنا على لسان السيّد المسيح هو تحقيق لنبوءة إشعياء: «فالآن أُعَرِّفُكُم ماذا أصنع بكرمي، أنزع سياجه فيصير للرَعيّ. أَهدِم جدرانه فيصير للدَّوْسِ. وأَجعَلُهُ خرابًا لا يُقضَبُ ولا يُنقَبُ. فَيَطْلَعُ شَوكٌ وَحَسَكٌ. وأُوصِي الغيمَ أن لا يُمطِر مَطَرًا.

إنَّ كَرمَ ربِّ الجُنودِ هو بيت إسرائيل، وغَرسَ لَذَّته رِجالُ يهوذا. فٱنْتَظَرَ حقًّا فإذا سَفْكُ دَمٍ. وعَدلاً فإذا صُراخٌ» (إش ٥:٥–٧).

الكنيسة تتسلَّم رجاء إسرائيل وأمجاده في إنجيل متّى

الأمّة اليهودية كانت تعيش على رجاء عودة قيام إسرائيل وأمجاده «Restoration of Israel» التي تتمثل في:

† أمجاد الهيكل † أمجاد المسيا † أمجاد الناموس

هذه الثلاثة تُشَكِّل مقدسات ورجاء إسرائيل التي تُشَكِّل الموضوع الرئيس لكل كُتب الأنبياء.

«ويكون في آخِرِ الأيام أَنَّ جَبَل بيت الرّبِّ يكونُ ثابتًا في رأس الجبالِ، وَيرتفعُ فَوقَ التِّلالِ، وَتَجري إليهِ كُلُّ ٱلْأُمم. وَتَسيرُ شُعُوبٌ

كَثيرَةٌ. ويَقولُون: «هَلُمَّ نَصعَدْ إلى جَبَلِ الربِّ، إلى بيتِ إلٰهِ يَعقُوبَ، فَيُعَلِّمنا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ في سُبُلِهِ. لأنَّه مِن صِهيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّريعَةُ ، وَمِن أورشَليمَ كَلمة الربِّ» (أشعياء ٢:٢ –٣).

الآيات السابقة تُوضح الفهم اللاهوتي العميق للموضوع، فإشعياء النبي يعرض ثلاثة العناصر كموضوعٍ واحد ليوضح مدى ٱرتباطهم وتكاملهم معًا. فجبل **بيت الربّ** الثابت الذي يرتفع فوق التلال يشير للهيكل. «وتجري إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلّمنا من طرقه ونسلك في سبُله» واضحٌ أنّ أشعياء ينتقل من **الهيكل الجديد الثابت** – دون فاصل – للحديث عن المسيا، الذي هو أيضًا جبل الرب. ثم يوضح أن طُرقه وسُبله هي **الشريعة** التي تخرج من جبل صهيون في آخر الأيام مُشَخَّصة في كلمة الله. وهنا يربط بين الشريعة الجديدة وكلمة الله. هذا الرَبْط ٱلدقيق بين ٱلهيكل والناموس من خلال ٱلمسيا يتحقّق كلّه في إنجيل متَّى بسهولة، وبصورة مُحْكَمة، تفوق جدًّا أي قدرة على التأليف المشترك بين متَّى وأشعياء بفاصل ٨٠٠ سنة.

أَلْهَيْكَلُ

الهيكل عند اليهود: هو بيت الله ففيه يسكن الرب في وسط إسرائيل بشكلٍ ملموس، وإن كان من وراء الحجاب. حضور الله وسط إسرائيل هو الأمر الذي يميّز ويحدّد هَوِيَّة الشعب، كَشَعب الله. فحضور الله في الهيكل يُعطي لهذا الشعب كل قوّته الروحانية والمدنية. الهيكل هو المكان الوحيد على الأرض الذي تُقَدَّم فيه العبادة، فلا يُمكن السجود أو تقديم الذبائح إلَّا فيه، لأنّ الله يسكن فيه وحده. كان على كل ذَكَر أن يحضُر إلى الهيكل ثلاث مرّات في السنة في أعياد الفصح والخماسين والمظال، لتقديم الذبائح والسجود لله، «ثلاث مرّات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيّد الربّ إله إسرائيل» (خر٣٤:٢٣). الهيكل هو المكان الذي يستمع الله فيه للصلاة ويقبل التوبة، حسب صلاة سليمان وتدشينه (١مل٨:٣٤).

طَلَب داود النبي من الله أن يبني مسكنًا للربّ: «أذكر يا ربّ داود وكلّ ذلّه. كيف حَلَفَ للربّ ونذر لإله يعقوب. لا أدخل خيمة بيتي، لا أصعد على سرير فراشي، لا أُعطي وَسَنًا لعينيّ ولا نومًا لأجفاني، إلى أن أجد موضِعًا للربّ ومَسكنًا لإله يعقوب ...» (مز١٣١:١–٨). «لكن العليّ لا يَسكُن في هياكل مصنوعات الأيادي كما يقول النبيّ » (أع٧:٤٨). «هكذا قال الربّ، السماوات كرسيّي والأرض موطىء قَدَميّ ، أين البيت الذي تبنون لي وأين مكان راحتي؟ وكلّ هذه صنعتها يدي ...» (إش٦٦:١ –٢). الله فَرِحَ بشهوة قلب داود ورغبته في بناء موضع لراحة الربّ. ولكن الربّ لا يرتاح في مبنى مُغلَق، لأن مَسكنه بين الناس وراحته في النفوس حيث يأتي مع الآب ليصنع منزلًا. قَبِلَ الله بناء الهيكل كوضعٍ مؤقّت ليكون له حضور في وسط إسرائيل، إلى أن يتحقّق حضور الله في المسيح. فالهيكل مع كل أمجاده كان موضعًا مؤقتًا كما يراه أنبياء العهد القديم، وكما تُوَضِّح الرسالة للعبرانيين: «وأما رأس الكلام فهو أنّ لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جَلَسَ في يمين عرش العظمة في السماوات خادمًا للأقداس والمسكن الحقيقي (الهيكل) الذي نصبه الربّ لا إنسان» (عب ٨:١ –٢). ثمَّ يقارن ذلك بخيمة الاجتماع: «الذين يخدمون شبه السماوات وظلها كما أوحي إلى موسى وهو مزمعٌ أن يصنع المسكن لأنه قال انظر أن تصنع كلّ شيء حسب المثال الذي أُظهِرَ لك في الجبل، ولكنه (المسيح) الآن قد حصَل على خدمةٍ أفضَل بمقدار ما هو وسيطٌ أيضًا لعهدٍ أعظم قد تَثَبَّتَ على مواعيد أفضل، فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طَلَبَ موضعًا لثانٍ» (عب٨:٥ –٧). هنا يُقارن بين المسيح والهيكل.

أَلْهَيْكَلُ في إنْجِيلِ متَّى

«ولكن أقول لكم إنّ ههنا (المسيح) أعظم من الهيكل» (مت١٢:٦)

يُعَرِّف مَتَّى في إنجيله المسيح بأنه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا. فحضور الله وسط شعبه لم يَعُد من خلال حلوله في الهيكل خَلف الحجاب، بل أصبح من خلال الله الكلمة الذي حَلَّ في جسد البشريّة، «إنه فيه يحلّ كُلّ ملء اللاهوت جسديًّا» (كو٢:٩). وفي هذا تحقيق النبوءات عن الهيكل والمسيّا معًا بطريقةٍ لم تَخطُر على قَلب بَشَر. فهو «جبل الربّ ... الذي تجري إليه كُلّ الأمم ... فيعلّمنا مِن طُرقه ونسلك في سُبُلِه» (قارن مع مت ٥:١–٢) «ولما رأى الجموع صَعِدَ إلى الجبل فلما جلَسَ تَقدَّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم قائلًا» .

المحور الذي يدور حوله إنجيل مَتَّى هو الكنيسة التي يقيمها على الصخر، فهي حسب رؤية إشعياء «جبل بيت الربّ الثابت في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال». «أنتم (**الكنيسة**) نور العالم لا يمكن أن تَخفَى مدينة موضوعة على جَبَل» (مت٥:١٤). «وأنا أقول لك: أنتَ بطرس **وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي** وأبواب الجحيم لن تَقوَى عليها» (مت١٦:١٨).

في ختام الموعظة على الجبل يوضح لنا السيّد المسيح معنى الصخر: «فكل مَن يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبّهه بِرَجُلٍ عاقل بنى بيته على **الصخر**» (مت٤:٢٧). الصخر الذي تقوم عليه الكنيسة هو تعاليم المسيح. الناموس الكامل الذي يقوم عليه الأساس لكل فرد، وبالتالي للكنيسة في أفرادها المجتمعين المبنيين كحجارة حية المرتبطين بالوصية الجديدة، أي الشريعة الجديدة حسب أقوال إشعياء: «لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الربّ» (إش ٢:٣). بطرس المُختَبِر لسرّ الصخرة يشرح معنى الكنيسة: «كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية،بيتًا روحيًّا، كهنوتًا مقدَّسًا، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله **بيسوع المسيح**» (١بط٢:٣–٦). فالكنيسة هي الهيكل الجديد المبني بحجارة حية

من جماعة المؤمنين في كلّ الأرض، مبنيين على الشريعة الجديدة مثبّتين في جسد واحد هو جسد المسيح، لتقديم ذبائح روحانية. هذا البناء الروحاني عجيب، يحلّ فيه الله ويسكن فيه ويجد فيه راحته «هذه هي راحتي إلى الأبد ههنا أسكن لأني ٱرتضيتها» (مز ١٣١:١٤). هذا هو الموضع الذي كان يَجِدُّ داود فيه البَحث عنه فلم يَجده، لكنه أخذ به وَعدًا من الله: «متى كَملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك ... هو يبني بيتًا لاسمي وأنا أثبّت كرسي مملكته إلى الأبد» (٢صم١٣،٧:١٢). إن كانت النبوءة قد تحقّقت في سليمان جزئيًّا، ببنائه للهيكل، إلّا أنها تحقّقت تمامًا في يسوع المسيح ابن داود الذي أقام **ملكوته الأبدي** في الكنيسة هيكله وجسده. الهيكل الجديد هو الموضع الذي لا يحدّه مكان ولا جدران، ويحلّ الله فيه كما يوضّح إنجيل مَتَّى. «لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» (مت ١٨:٢٠). فهو عمانوئيل الله معنا، الحالُّ والحاضر في الكنيسة حتى لو المجتمعين باسمه اثنين فقط. فحيث يجتمع المؤمنون باسمه هناك الكنيسة وحيث الكنيسة يوجد المسيح، الله الذي حلَّ في جسد البشرية. وكما أنه لا يحدّ الهيكل الجديد مكان، فهو أيضًا يمتد في الزمان: «... وها **أنا معكم** كل الأيام إلى ٱنقضاء الدهر، آمين» (مت٢٨:٢٠). فالسجود لله لم يَعُد مرتبطًا بمكان بل بالرّوح والحقّ في كلّ مكان وزمان لأنّ الله حاضر فينا «أَما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» (١كو٣:١٦). وذبيحة المسيح الواحدة قدّمت وتقدّم كل يوم ليس في الزمان ولا في المكان لأنها تعلو كلّ الحدود الموقوتة بهذا الدهر.

الهيكل الجديد ليس به حجاب يفصل الإنسان عن الله «وإذا حجاب الهيكل قد انشقّ إلى ٱثنين من فوق إلى أسفل» (مت٢٧: ٥١). انشقّ الحجاب عندما أسلم يسوع الروح، فانفتحت السماوات على الأرض لِتُظهِر الكنيسة جسده، التي تثبّتت في هذه اللحظة، كما يشرح لنا القديس بولس «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحد ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة مُبطِلًا بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلًا العداوة به فجاء وبشّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين لأنّ به لنا كِلَينا (اليهود والأمم) قدومًا في روح واحدة إلى الآب. فلستم إذًا بعد غُرباء ونُزلاء بل رعيّة مع القديسين وأهل بيت الله (الكنيسة) مبنيين على أساس الرُسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أفسس ٢:١٤–٢٠).

موقف السيّد المسيح من الهيكل القديم في إنجيل مَتَّى:

مع كل أهميّة الهيكل القديم لم يحفظ إسرائيل له قدسيته فعبدوا الأوثان. أقاموا تمثالًا لِمُولك الإله الوثني في وادي بن هنوم جنوب الهيكل، وقدّموا له أولادهم ذبائح بشرية لتمثال الغيرة المهيِّج الغيرة (حز٨:٣). هذه الخطيئة كانت السبب المباشر لترك الله لهم فأسلمهم ليد أعدائهم للسبيّ في بابل (إر٣٢:٣٥). وبعد عودتهم من السبيّ أقاموا الهيكل الثاني (هيكل زروبابل) والذي كان أقل بكثير في العَظَمة من هيكل سليمان. تَذْكُر المِشنا، أحد كُتب التلمود أن هذا الهيكل كانت تنقصه خمسة أشياء: **التابوت، والنار المقدسة، وسحابة المجد، والروح القدس، والأوريم والتميم.**

بدء يهود ما بعد السبيّ بدءًا حَسَنًا إلّا أنهم سَقَطوا بالتدريج في شكلية العبادة، التي كانت موضع حديث الأنبياء. وعادوا إلى خطاياهم القديمة وأخطرها محبّة المال، وإراقة الدماء. إنجيل متّى وحده يُبرز هذه النقائص الشنيعة على لسان السيّد المسيح، وذلك ضمن خطته لِيُظهِر فَشَل إسرائيل في مهمّته، مما حتَّم **قيام الكنيسة كإسرائيل الجديد** بشريعة مُكَمَّلة وهيكل سماوي، لتتميم العهد الأبدي: «لذلك ها أنا أُرسِل إليكم أنبياء وحُكماء وكتَبة (الرُسل وتلاميذهم) فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة، لكي يأتي عليكم كلّ دَمٍ زَكي سُفِكَ على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح ... يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المُرسَلين إليها ...» (مت٢٣:٣٤–٣٧). ثمّ حَملوا مسئولية كلّ دم زَكي سُفِكَ على الأرض بحمل دم المسيح: «أجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا» (مت٢٧:٢٥).

ويذكر مَتَّى تعدياتهم على الهيكل ومؤاخذة السيّد المسيح لهم «ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل ... وقال لهم مكتوبٌ بيتي بيت الصلاة يُدعَى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت٢١:١٢). يرى المسيح في إنجيل مَتَّى الهيكل القديم أنه مُقَدَّس ويُقَدِّس كل ما به كبيت الله ويغار عليه لأن الله يسكن فيه (مت٢٣:١٧). إن كان الربّ يغار على بيته القديم، فكم بالأحرى غيرته على الجديد الذي هو نحن.كان السيّد المسيح يرى بوضوح خطر الفكر اليهودي ومفهومهم للهيكل القديم، بكل مظاهره وعبادته الشكليّة على الهيكل الجديد الذي هو كنيسته، لذلك كان لابدّ من زواله بلا قيام: «فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه، الحق أقول لكم إنه لا يُترك ههنا حجرٌ على حجرٍ لا يُنقَض» (مت٢٤:٢). الهيكل القديم مع كل مجده، أين يقع من الجديد؟ وكيف يمكن أن يقف أو يوجَد بَعد؟ «فإذ قال جديدًا عتق الأول وأما ما عَتَقَ وشاخ فهو قريبٌ من الاضمحلال» (عب٨:١٣). وفعلًا دُمِّرَ الهيكل بعد كتابة هذه الرسالة بزمنٍ قليل.

بعد أن خرج يسوع من الهيكل لآخر مرّة فارق روح الربّ الهيكل فلم يَعُد بيت الله بل: «هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا» (مت٢٣: ٣٨). كان لابدّ أن يتمّ هذا حتى **تقوم الكنيسة جسد المسيح، جديدة متجدّدة بروح الحقّ والعدل والبرّ لتحفظ العهد الأبدي**

سلاميس - الميناء الشرقي لجزيرة قبرس

(١) الموقع :

هي ميناء على الساحل الشرقي لجزيرة قبرس ، تقع على بُعد نحو ثلاثة أميال إلى الشمال من مدينة فماچوستا ، وكانت تقع بالقرب من نهر "بدياس " (بديئيوس) في أقصى الطرف الشرقي من سهل ميزوريا الذي كان يمتد داخل الجزيرة حتى مدينة نيقوسيا (لفكوسيا قديمًا) عاصمة الجزيرة حاليًا . وكان لسلاميس مرفأٌ جيدٌ، ولكن طغت عليه رواسب الطّمْيِ الذي كان يجلبه نهر "بدياس ". كما كانت أزهى مدن قبرس، وأكثرها سكانًا في العصرين اليوناني والروماني . وكان لها تجارة واسعة مع موانىء كيليكيه وسورية ومصر ، وبخاصة في تجارة الحبوب، الخمر، الزيت والملح. وكان سكانها خليطًا من عناصر يونانية وفينيقية ، ولكنها كانت مصبوغة بالصبغة اليونانية، وكان المعبود الرئيسي لها هو**"زفس" (زيوس) كبير آلهة اليونانيين.**

(٢) تاريخها القديم :

يقول تقليد قديم إن الذي بناها هو "توسر" (Teucer) القائد اليوناني لرماة السهام في حرب طروادة، كما جاء في الإلياذة ، وكان أصلاً من جزيرة سلاميس المقابلة لساحل أتيكا بالقرب من أثينا. فدعا المدينة باسم موطنه الأصلي، ولكن الكشوف الأثرية تدل على وجودها منذ تاريخ أقدم ، لاستقرار الميسينيين فيها. ويبدو أثر الأشوريين في التماثيل الفخارية التي أسفر عنها التنقيب في موقع المدينة .

وتبرز المدينة في القرن السادس قبل الميلاد باعتبارها مدينة إغريقية، تحكمها عائلة ملكية تنتسب إلى " توسر" ، ويدعمها تحالفها مع القيروان . وقد رفض ملكها "جورجوس " (Gorgus) في ٤٩٨ ق. م. الانضمام إلى الثورة الأيونية ضد الحكم الفارسي ، لكن أخاه "أونيسيلوس" (Onesilus) تزعم فريقًا من رجال المدينة، وحملوا السلاح طلبًا للاستقلال . ولكن الفرس هزموهم هزيمة نكراء عند أسوار سلاميس، واستعادوا سلطتهم عليها وأعادوا "جورجوس " للحكم نائبًا عنهم . وفى ٤٤٩ ق. م. هزم أسطول كبير بقيادة أثينوية الأسطول الفينيقي الذى كان في خدمة الفرس بالقرب من سلاميس ، ولكن الأثينويين انسحبوا بعد المعركة .

وفى ٣٠٦ ق.م. وقعت معركة بحرية أخرى بالقرب من سلاميس هزم فيها "ديمتريوس بوليوركيتس" (Poliorcates) قوات بطليموس الأول (سوتر) ملك مصر. ولكن بعد إحدى عشرة سنة ، وقعت المدينة مع سائر أجزاء الجزيرة في قبضة بطليموس، وظلت تابعة لمصر إلى أن خضعت لروما عام ٥٨ ق.م.

(٣) زيارة الرسولين بولس وبرنابا :

عندما قام الرسولان بولس وبرنابا برحلتهما التبشيرية الأولى ، أبحرا من ميناء سلوكية في سورية، ومعهما يوحنا مرقس. وسافروا إلى قبرس ، ونزل ثلاثتهم في سلاميس بعد أن قطعوا نحو ١٣٠ ميلاً، فميناء سلاميس كان يواجه ساحل سورية ، وهناك "ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود "(أع ١٣: ٥) ، وهي عبارة تسترعي الانتباه، لأنها تشير إلى وجود عدة مجامع لليهود ، مما يدل على وجود جالية يهودية كبيرة . فقد شجع بطليموس اليهود على الاستيطان فيها . ولا يذكرُ الكتاب المقدس أن الرسولين بشرا الأمم في سلاميس ، ولم يُشِر إلى المدة التي مكثاها في سلاميس ، ولا مدى نجاحهما فيها . ولكن يبدو أنهما بعد أن مكثا أيامًا قليلة في سلاميس ، " اجتازا الجزيرة إلى بافوس" (أع ١٣: ٦) ، مما يعني أنهما قد ناديا بالإنجيل في كل أجزاء الجزيرة ، وعلى الأقل في المدن التي بها جاليات يهودية ، حتى وصلا إلى بافوس عاصمة الجزيرة في ذلك الوقت ، والتي تقع في الطرف الجنوبي الغربي للجزيرة . ولم يزر الرسول بولس سلاميس مرة أخرى ، أما برنابا – الذي يُظن أنه كان أصلاً من سلاميس– فقد أخذ يوحنا مرقس معه – بعد انفصاله عن الرسول بولس – وسافر في البحر إلى قبرس (أع ١٥: ٣٩)، في رحلته التبشيرية الثانية للجزيرة. وهناك تقليد يقول أن برنابا استُشهد هناك فى عهد نيرون ، في موقع به دير يسمى باسم " دير برنابا ".

ولابد أن بولس وبرنابا شاهدا ساحة المدينة الكبيرة المرصوفة بالحجارة (٧٥٠×١٨٠ قدمًا مربعًا) والتي كانت تحيط بها الحوانيت ، ويقوم على طرفها الجنوبي **معبد زفس.**

(٤) التاريخ اللاحق:

فى ١١٦ م قام اليهود القبارسة بثورة وقتلوا نحو ٢٤٠,٠٠٠ من اليونانيين والرومانيين ، ولكن **الإمبراطور هادريان** (١١٧–١٣٨م) أخمد الثورة بقسوة متناهية، حتى كادت المدينة تصبح أطلالاً مهجورة. وقد أكمل تدميرها زلزالان عنيفان حدثا فى ٣٤٢،٣٣٢ م. وقد أعاد بناءها "قنسطنتيوس الثاني "(٣٣٧–٣٦١م) وأطلق عليها اسم "قسطنتيًا" على اسمه، وجعلها مقر الحكم بالجزيرة. وكان أشهر أساقفتها **"إبيفانيوس"** (Epiphanius) الذى كان عدوًا عنيدًا للهراطقة ومؤيدًا قويًا لحركة الرهبنة. وشغل مركز الأسقفية من ٣٦٧–٤٠٢م.

وفى ٦٤٧م تعرضت المدينة للتدمير الكامل والنهائي على يد العرب . وما زالت هناك بعض الأطلال تشهد لهذا التدمير.

لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة

من أقوال آباء الكنيسة

الرب طهَّر الهيكل مرتين:

يرى البّار أوغسطينوس أنَّ الرب طهَّر الهيكل مرتين:

الأولى نحو بداية خدمته بعد معجزة قانا الجليل، والمذكورة في الأصحاح الثاني من إنجيل يوحنا هكذا: «وكان فصح اليهود قريبًا، فصعد يسوع إلى أورشليم. ووجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا، والصيارفة جلوسًا، فصنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل: الغنم والبقر، وألقى دراهم الصيارفة، وقلب موائدهم. وقال لباعة الحمام: ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة. فتذكَّر تلاميذه أنه مكتوبٌ: غيرة بيتك أكلتني» (يو ٢: ١٤-١٧).

والثانية نحو نهاية خدمته إثر دخوله أورشليم في أحد الشعانين، والتي ذكرها إنجيل متى هكذا: «ودخل يسوع إلى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام، وقال لهم: مكتوبٌ: بيتي بيت الصلاة يُدعَى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (مت ٢١: ١٢،١٣).

† يقول البارُّ أوغسطينوس بهذا الصدد:

ذَكَرَ إنجيل يوحنا أنَّ الرب يسوع قال لدى تطهيره الهيكل: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة» (٢: ١٦)، في حين أنَّ إنجيل متَّى ذَكَرَ أنه قال: «مكتوبٌ: بيتي بيت الصلاة يُدعَى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص» (٢١: ١٣). ولكن هذين القولَيْن لا يتعارضان، بل يُظهران أنَّ الرب طهَّر الهيكل مرتين. كما أن هذين التعبيرَيْن لا يُشيران إلى نفس المناسبة، بل يُشيران إلى أنَّ المرة الأولى كانت عند بداية خدمته، والثانية عندما كان مُتجهًا نحو طريق آلامه. فقد استعمل في المرة الثانية كلمات عنيفة، ولكنه في بداية معجزاته استعمل توبيخًا لطيفًا.

وربما تسألون: لماذا فعل يسوع ذلك وأظهر سخطه ضد هؤلاء الناس، وهو ما لم يُظهره في أيِّ مكان آخر، ولا حتى عندما لعنوه، وسخروا منه، ودعوه أو قالوا عنه "سامريًا" وأنَّ "به شيطان"؟ كما أنه لم يكتفِ بالكلام، بل أخذ سوطًا وطردهم به! كما أنه عندما انتهرهم لم يُظهروا سخطهم وغيظهم، لأنهم لم يجدوا في تصرُّفه أي خطأ، فقالوا له: «أيَّة آية تُرينا حتى تفعل هذا؟» (يو ٢: ١٨). أتَرَون حسدهم المُفرِط؟ وعندما قال إنهم جعلوا الهيكل مغارةً لِلِّصوص، كان ذلك لكي يُظهر أن ما كان يُباع كان ناتجًا عن السرقة والجشع، وأنهم كانوا يزدادون غنًى من نهب الآخرين. ولكنه عندما سمَّى الهيكل "بيت تجارة"، فذلك لكي يُظهر أن تجارتهم كان فيها عدم تقوى. ولماذا فعل ذلك؟ لأنه كان على وشك أن يشفي في السبت، وأمورٌ أخرى مشابهة قد تبدو لهم أنها تَعَدٍّ على الناموس. وبذلك فقد صحَّح أيَّ شكٍّ يعتريهم من جراء ذلك. لأن الذي أظهر غيرةً مثل هذه على بيت الله، لن يُقاوم رب البيت الذي كان يُعبَد فيه.

لقد طهَّر يسوع الهيكل في وجود الجموع المحتشدة لأجل العيد، رغم أن ذلك كان ينطوي على مخاطرة لحياته هو شخصيًا. وهو لم يطرد الباعة فحسب؛ بل إنه قَلَبَ موائدهم، وبَعْثَرَ النقود على الأرض، لكي يفهموا أن ذاك الذي ألقى بحياته في الخطر بكل جراءة من أجل توقير بيت الله، لا يمكن أن يزدري بربِّ البيت. فلم يكن أمرًا هيِّنًا أن يُعرِّض نفسه للغيظ من التجَّار، وأن يُثير على نفسه فوضى الباعة الممتلئين بالوحشية، وذلك بإهانتهم وإصابتهم بالخسائر. وقد أثبت لهم أن هذا ليس هو تصرُّف إنسان مُراءٍ ، بل ذاك الذي اختار التألُّمَ من أجل كرامة بيت الله!

كما أنه أظهر بكلامه وحدانيته المنسجمة مع الآب، فهو لم يقُل: **"البيت المقدس"**، بل **"بيت أبي"**. ويُلاحَظ أنه لما سمَّاه " أبًا " لم

يغضبوا، لأنهم ظنُّوا أنه يتكلَّم عنه بصفة عامة كأب الجميع. ولكنه لما تكلَّم بوضوح أكثر لكي يؤسِّس فكرة مساواته للآب، أثار ذلك غضبهم. ولما قالوا له: «أيَّة آية تُرينا حتى تفعل هذا؟»، أظهروا جنونهم، لأنه هل توجد حاجة إلى معجزة لإيقاف الممارسات الشريرة، وتخليص الهيكل من مثل هذا العار؟ وأَلَم تكن تلك الغيرة على بيت الله أعظم علامة على فضيلته؟ كما أن الذين كان لهم إدراك صائب تعلَّموا من ذلك: «فتذكَّر تلاميذه أنه مكتوبٌ: غيرة بيتك أكلتني» (يو٢: ١٧).

أما الآخرون فلم يتذكَّروا النبوءة، بل طلبوا علامةً! وفي نفس الوقت، فقد حزنوا على أرباحهم التي فقدوها، وأرادوا أن يفحصوه ويتحدّوه بأن يُجري معجزة، ثم يُحاكموه على ما حدث منه. ولكنه لم يُعْطِهم آية، لأنه في مناسبة أخرى عندما طلبوا منه آية، قال لهم: «جيلٌ شريرٌ فاسقٌ يلتمس آية، ولا تُعطَى له آية إلاَّ آية يونان النبي» (مت ١٦: ٤). وذلك بسبب قساوة قلوبهم المفرطة.

فلننقض القديم لكي يُقيم الرب الجديد:

وكانت إجابة الرب لهم: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أُقيمه» (يو ٢: ١٩). أقواله الكثير لم تكن واضحة لسامعيه عندما نطق بها، ولكنها اتَّضحت لغيرهم بعد ذلك. ولماذا فعل ذلك؟ لأنه عندما تحقَّقت هذه النبوءة، أثبت أنه رأى مُسبقًا الأحداث قبل وقوعها. فالإنجيلي (يوحنا) يقول: «فلما قام من الأموات، تذكَّر تلاميذه أنه قال هذا، فآمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع» (يو ٢: ٢٢). وعندما قال يسوع ذلك تحيَّر البعض فيما يعنيه كلامه، في حين أنَّ آخرين قالوا: «في ستٍّ وأربعين سنة بُنِيَ هذا الهيكل، أفأنت في ثلاثة أيام تُقيمه؟» (يو ٢: ٢٠). وقد قصدوا بذلك بناءه الأخير، لأن بناءه السابق تم في عشرين سنة. ولماذا لم يشرح الرب هذه الأُحجية قائلاً: **"أنا لا أتكلَّم عن هذا الهيكل بل عن جسدي"**. ثم فسَّرها الإنجيلي بعد ذلك، لأنهم ما كانوا سيقبلون شرحه. فإذا كان تلاميذه لم يفهموا حينئذ ما قاله، فكم بالحري الجموع؟! إنه لم يُعطِهم العلامة التي طلبوها، لأنه بدا لهم أنه يقول أمرًا لا يمكن تصديقه، حتى أنهم لم يُواصلوا الاستفسار منه، بل استخفُّوا بكلامه باعتباره أمرًا مستحيلًا.

† وفي هذا الصدد يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:**

إنهم جسدانيون ولا يعرفون إلَّا أمور الجسد، أما هو فكان يتكلَّم روحانيًا. ثم إنه مَن ذا الذي أمكنه أن يُدرك أي هيكل كان يتكلَّم عنه؟ فقد أوضح الإنجيلي ذلك بقوله: «أما هو فكان

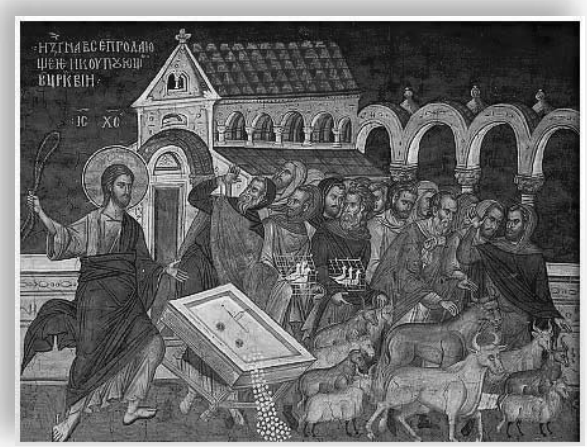

يقول عن هيكل جسده» (يو٢:٢١). فمن الواضح لنا أنَّ الرب مات ثم قام بعد ثلاثة أيام، وإنْ كان ذلك قد أُخفِيَ عن اليهود حينئذ. لأنه هكذا: «وَضَعَ نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفَّعه الله أيضًا وأعطاه الاسم الذي هو فوق كل اسم» (في ٢: ٨،٩ – حسب النص).

ما هو الذي كان يُباع في الهيكل؟

† وفي شرحه للتطهير الأول للهيكل، يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:**

ما هو الذي كان يبيعه هؤلاء الناس؟ هو ما كان الناس يحتاجون لتقديمه ذبائح في ذلك الزمان. لأنكم تعلمون، يا أحبائي، أنَّ تلك الذبائح كان يجب أن يُقدِّمها الناس بسبب ميولهم الجسدانية وقلوبهم الحجرية، ذبائح كانوا يُقدِّمونها لكي تحفظهم من السقوط في الوثنية. فكانوا يُقدِّمون ذبائح من الثيران والغنم والحمام. فكان الجميع يعتقدون أن هذه ليست خطيئة عظيمة أن يبيعوا في الهيكل ما يُقدَّم كذبائح في الهيكل، ومع ذلك فقد صنع (الرب يسوع) سوطًا من حبال وطردهم من هيكل الله، لأن كل إنسان يُضفِّر حبلًا لنفسه في خطاياه. والنبي يقول: «ويلٌ للجاذبين خطاياهم كما بحبل طويل، والآثام كما بالسير الجلدي» (إش ٥: ١٨– سبعينية). ومَن هو الذي يجعل الحبل طويلًا ؟ الذي يُضيف خطايا إلى خطايا، وذلك عندما يضم الخطايا التي ارتكبها إلى خطايا أخرى. فإذا ارتكب أحد خطيئة السرقة مثلًا ، ولكي لا يكتشف أحد ذلك يلجأ إلى أحد المنجِّمين أو السَّحَرَة، وبذلك يضم خطيئة إلى أخرى.

ومَن هم الباعة؟

الحبل يكبر، فخَف من الحبل. فجيدٌ لك أن تُصحِّح حياتك هنا عندما تُجلَد به، حتى لا يُقال في النهاية: «اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية» (مت ٢٢: ١٣)، لأن «الشرير تأخذه آثامه وبحبال خطيئته يُمسَك» (أم ٥: ٢٢).

وإذا بحثنا في المعنى الرمزي السرّي، فمَن هم الذين يبيعون الثيران والغنم والحمام؟ **هم الذين يبحثون عن منفعتهم الشخصية في الكنيسة وليس ما هو للمسيح:** «إذ الجميع يطلبون ما هو لأنفسهم لا ما هو ليسوع المسيح» (في ٢: ٢١). إن الذين لا يريدون أن يُفتَدوا يكون لهم كل شيء للبيع. لا يريدون أن يُشتَروا بل أن يبيعوا. فجيدٌ لهم أن يُفتَدوا بدم المسيح لكي يحصلوا على سلام المسيح. أليس كُلُّ شيء في هذا العالم وقتيًا وعابرًا وَقبْضَ الريح؟ فويلٌ للذين يتعلّقون بالأمور العابرة لأنهم سيعبرون معها!

لقد أراد **سيمون الساحر** أن يشتري موهبة الروح القدس لأنه أراد أن يبيعها (انظر أع ٨: ١٨-٢٣). فقد ظنَّ أن الرسل تجّار مثل الذين طردهم الرب من الهيكل. فليحذَر أمثاله من جلدات السياط، وليأتوا حيث يُعطَى الروح القدس كهبة مجانية، أي نعمة. وعندما يتألمون بسبب آثامهم، فليتحقَّقوا من أن الرب صنع حبالًا ليجلدهم، وأنه يُحذِّرهم لكي يتغيَّروا ولا يكونوا تجّارًا. فلتأكلنا الغيرة على بيت الله وبيت قلبنا:

«فتذكَّر تلاميذه أنه مكتوبٌ: غيرة بيتك أكلتني» (يو ٢: ١٧). لأن الربَّ طرد الباعة من الهيكل بسبب غيرته على بيت الله. فلتأكل الغيرة على بيت الله كل مسيحي عضو في جسد المسيح.

ومَن هو الذي تأكله تلك الغيرة؟ هو الذي يُجاهد لأجل تصحيح كل ما يراه خطأً في بيت الله، بل يشتهي أن تتحسن أمور الكنيسة.

إن الحنطة لا تُدرَس إلاَّ في البيدر حتى تدخل الأهراء (أي المخازن) بعد أن يُفصَل التبن منها. وأنتم، إذا كنتم حنطة، لا تُدرَسون إلَّا في البيدر، أمام المخزن حتى لا تلتقطكم الطيور قبل أن تتجمَّعوا في المخزن. لأن الطيور، أي القوات العُليا، إنما هي متأهِّبة لكي تخطف شيئًا من البيدر، وهي تخطف من هناك تلك التي دُرِسَت. ولذلك، فلتأكل الغيرة على بيت الله كل مسيحي، لأن بيتك ليس مُفضَّلًا على البيت الذي لك فيه خلاص أبدي! وإن كنتَ تُجاهد حتى لا يحدث شرٌّ في بيتك؛ فإنَّ بيت الله الذي فيه يُعلَن لك خلاص وراحة لا تنتهي، أَفَلا يجب عليك أن تفعل ذلك بقدر إمكانك (أي تُجاهد) إذا رأيتَ فيه أيَّ شرٍّ؟

اكبح جماح مَن يفعل شيئًا غير لائق في بيت الله ولا تسكت، وبذلك فأنت تُتمِّم الآية: «غيرة بيتك أكلتني». ولا تكفّ عن محاولة ربح أحدٍ للمسيح كما ربحك المسيح.

" **الأرابع** " تعني مجموعة مكونة من أربعة جنود في جيش هيرودس . وقد سُلِّم بطرس إلى أربعة أرابع ليحرسوه في السجن ، أي أربعة مجموعات كل منها أربعة جنود في نوبات الحراسة المحددة لهم طوال الليل، أي ثلاث ساعات لكل فترة حراسة، حسب النظام الروماني الذي كان هيروددس أغريباس يتبعه، فكان الهيروديسيون يعملون على إضفاء صبغة الحضارة الهلينية على الأمة اليهودية، واستخدموا اللغة اليونانية وجعلوها لغة الدواوين.

وقد وُضع بطرس في قلعة أنطونيا تحت الحراسة المشدّدة حتى يضمن هيرودس تنفيذ حكم الإعدام فيه بعد الفصح مثلما " قتل يعقوب " أخا يوحنا بالسيف (أع ١٢: ٢). وفي الليلة السابقة لتقديم بطرس لسيف الجلاد، كان بطرس نائمًا بين عسكريّين مربوطًا بسلسلتين، فكانت كل يد مربوطة بسلسلة إلى أحد العسكريين ، أما العسكريان الآخران من مجموعة الأربعة، فكانا قدام الباب لحراسة السجن، وهما المحرس الأول والثاني (أع ١٢: ١٠).

أما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى الله من أجله (أع ١٢: ٥). فجاءه الملاك وأيقظة وقاد بطرس حتى عبر " المحرس الأول والثاني وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة فانفتح لهما من ذاته، فخرجا وتقدما زقاقًا واحدًا وللوقت فارقه الملاك " (أع ١٢: ١٠).

وَكَانَ فُؤادي خَالِيًا قَبْلَ حُبِّكُمْ ... وَكَانَ بِذِكْرِ الخَلقِ يَلْهُو وَيَمْرَحُ

فَلَمَّا دَعَا قَلْبِي هَوَاكَ أَجَابَهُ ... فَلَسْتُ أَرَاهُ عَنْ فِنَائِكَ يَبْرَحُ

رُمِيتُ بِبَيْنٍ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا ... وَإِنْ كُنْتُ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِكَ أَفْرَحُ

الأرثوذكسيّة (٤١)
قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

كَم لنا مِن قيمةٍ لدى الله ؟

وبالإضافة إلى ما يُخبرنا به الصليب عن عِظَم محبة الله لنا ، فإنّه يُرينا أيضًا كَم نحن ذوو قيمة لديه. إن مات شخصٌ لأجلك فهذا يعني أنَّك مُهِمٌّ، ولكن إن كان هذا الشخص هو الله فهذا يعني أنَّكَ مُهِمٌّ جدًّا. وكما نَحكُم على صورة أو لوحة فنيَّة ونقيّمها بالثمن الذي دُفِعَ فيها، هكذا ينبغي أن نُقَيِّم أنفسنا بالثمن الذي دُفِعَ لأجل خلاصنا.

كتب **القديس أوسابيوس القيصري** منذ زمان: ''إن لم تُصغِ لذاكَ الذي خَلَقَكَ، فاسأل ذاكَ الذي فَداكَ كَم تُساوي؟ ما الثمن الذي دفعه المسيح لأجلك؟ تأمَّل في آلامه، كم أُسيئَت معاملته وَسُخِرَ منه، تفكَّر في عذاباته وفي إكليل الشوك وفي الصليب. إنَّه لكي يفديكَ ويُخَلِّصَك ولكي يشتريك ضَحَّى بحياته، هذا هو ابن الله الأزلي، الإله الحقيقي مِثل أبيه. أُنظُر إلى عَظَمَة القَمر والنجوم، أُنظُر إلى الأرض وجمالها، ماذا يكون كل ذلك إذا ما قورِنَ بالله ؟ بصعوبةٍ نقول ولا ذَرَّة من تراب. فأنتَ إذًا ذو قيمةٍ لا نهائيّة أكثر من السماء والأرض وكل بهائها. إن معيار قيمتك هو الله الأبدي ذاته، لأنّه اشتراك بدمه الخاص. أنتَ ذو قيمة تساوي دم ربنا يسوع المسيح''.

نسمع في هذه الأيام أنّ الإنسان يعاني من أزمة ضياع الهويّة، مِحنَةُ ذاته، لا يَعلَم مَن هو؟ مَن يَكون؟ لن يَعلَم الإنسان مَن هو إلى أن يلتقي بيسوع على الصليب. هنا فقط يأتي الإنسان ليتعرَّف على هويَّته الحقيقيَّة، فيعرف كَم هو محبوب لدى الله وأنَّه يخصّه، إنه ذو قيمة لدى الله، تمامًا مثل دم ابنه الوحيد. «الآن نحن أولاد الله، لم يُظهَر بعد ماذا سنكون .. لأننا سنكون مثله» (١يو٣:٢). قال يسوع لتلاميذه: «لا أعود أسمِّيكم عبيدًا .. قد سَمَّيتكم أحبَّاء» (يو١٥:١٥).

هل الله عادل ؟

كتَب **القديس تيخون** الذي من زادونسك وقال: ''إنَّ سيَّدنا وخالقنا تألَّم وقاسى العذاب ومات لأجلنا، نحن الذين كَسَرنا ناموس الوصية، نحن الخائنون، نحن الذين تفوَّهنا بالتجاديف والإهانات، نحن الذين أَسلمنا ذواتنا للعدوّ، نحن الذين نستحق أن يُبصَق علينا، ونستحق أن يُسخَر منا، وأن نُهان وأن نُجلَد وأن نُضرَب وأن نُعَذَّب وأن نموت إلى منتهى الأبد، ولكن ربنا وإلهنا – بسبب حبِّه الشديد – مات بدلًا منّا.

العبد أخطأ، والسيِّد قاسَى العقاب.
العبد أخطأ، والسيّد تعذَّب.
العبد سَرَقَ، والسيِّد دفع التعويض.
العبد كان مدينًا، والسيِّد وَفَّى الدَيْن.

وبأي طريقةٍ وَفَّى الدين، لا بفضَّة ولا بذهب، إنَّما بالخزي والجراحات والدَّم بموته على الصليب ''.

هل هذا عدل؟ هل من الصواب أن الله يتألّم من أجل الإنسان؟ أجاب القديس إسحق السرياني على هذا السؤال منذ زمنٍ طويل وقال: ''لا تتجرَّأ وتفترِض أن تدعو الله عادلًا، لأنه أي نوعٍ من العدل هذا، إن كُنَّا نُخطىء ثم يعطينا ابنه الوحيد على الصليب؟'' إنه ليس عدل الله وإنَّما حُبّه هو الذي يتكلَّم مِن فوق الصليب.''

١٨ – دانيال وزمن التجسّد

ولكنك تبحث عن شهادة أخرى بخصوص الزمن، وإليك هذه الشهادة: «قال لي الربّ: أنتَ ابني. أنا اليوم ولدتك». ثم يستطرد فيقول: «...ترعاهم بعصًا من حديد» (مز٢:٧،٩). لقد سَبَقَ وقلت: «العصا من حديد» ترمز بوضوح إلى الإمبراطورية الرومانية، التي يتحدّث عنها دانيال أيضًا، فأعيد النصّ على أذهانكم. إنه، لما فَسَّرَ **لنبوخذنصّر** معنى التمثال (دانيال٢:٣١-٤٧١)، شرح الرؤية كلّها بالنسبة للمسيح، إذ قال: «إنّ الحجر الذي ٱنقطع من الجبل، لا باليدين ولا بفعل إنسان، ملأ الأرض كلّها». ثمّ استطرد موضحًا: «وفي أيام هذه الممالك، يقيم إله السماء مملكة لا تُنقَض إلى الأبد، ومُلكها لا يُترَك لشعبٍ آخر» (دانيال ٢:٤٤).

١٩ – دانيال يحدّد تاريخ التجسّد

ولكننا لا نزال نبحث عن دليل أوضح على مجيء الأزمنة، لأن الإنسان مفطور على الشكّ، ولا يصدّق ما يُقال إن لم يتوصّل إلى احتساب هذه السنوات بدِقّةٍ. فما هي إذن هذه اللحظة المناسبة، وما هو هذا الزمن؟ عندما زال الملوك من يهوذا، اعتلى العرش أجنبي هو **هيرودس**. إذن خاطَب الملاك دانيال قائلًا: «وأنتَ سَجِّل جيّدًا ما أقوله الآن»: «فاعلَم وافهم: إنه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع وإثنان وستّون أسبوعًا» (دانيال٩:٢٥). والتسعة والستون أسبوعًا من السنين تعادل أربعمائة وثلاثًا وثمانين سنة. وعليه فهو يقول إنه بعد ٱنقضاء ٤٨٣ سنة على إعادة بناء الهيكل، عند زوال الملوك، يأتي ملكٌ أجنبي يولد المسيح في زمانه. وقد أعاد داريوس المادي بناء أورشليم في السنة السادسة من مُلكه (عزرا ٦:١٥)، وفي السنة الأولى من ألعاب الإغريق الأولمبيّة السادسة والستين. والألعاب الأولمبيّة لدى الإغريق، هي الألعاب التي كانت تُقام كل أربع سنوات، بسبب اليوم الذي كان يُكتَسب كل أربع سنوات على مجرى الشمس، وينتج من الساعات الثلاث الإضافية لكل سنة. ولما كان هيرودس قد مَلَك في السنة الرابعة من الألعاب الأولمبيّة السادسة والثمانين بعد المائة، فإنّ عدد الألعاب الأولمبيّة التي توالت من ٦٦ إلى ١٨٦ يصبح ١٢٠، أي ٤٨٠ عامًا. أما السنوات الثلاث الباقية، فتُؤخَذ من الفترة الباقية ما بين السنة الأولى والسنة الرابعة. وهكذا يُصبح لديك الدليل المُستخرج من الكتاب المقدّس الذي يقول: «إنّه من صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع وإثنان وستون أسبوعًا» (دانيال٩:٢٥). لديك إذن برهان الأزمنة. وليس هناك تفسيرات أخرى، فيما يختص بأسابيع دانيال الوارد ذكرها.

دانيال النبي

٢٠ – ميخا يتنبّأ عن مكان التجسّد

أما عن إعلان المكان، فاسمع ما يقوله **ميخا**: «وأنتِ يا بيت لحم، أرض إفراتة، لستِ الصغيرة في ولايات يهوذا، فمنك يخرج والٍ يرعى شعبي إسرائيل، وأصوله منذ القديم، منذ أيام الأزل» (ميخا ٥:٢ ؛ متى ٦:٢). وأنتَ الساكن في أورشليم، لن تختار مكانًا آخر عندما تعرف أنه مكتوب في المزمور ١٣١: «ها قد سمعنا به في أفراتة ووجدناه في قرية الغاب» (مزمور ١٣١:٦)، إذ منذ سنين قليلة كان المكان غابة. لقد سمعت من جديد حبقوق يتكلّم إلى الرب: «عندما تقترب السنون يعرفونك، وعندما تأتي الأزمنة تظهر» (حبقوق ٣:٢ يوناني). وماذا تكون ، أيّها النبي، علامة مجيء الربّ ؟ «ستظهر وسْط حيوانين» (حبقوق ٣:٢ يوناني) ؛ لقد قال ذلك بوضوح عن الربّ : ستظهر بالجسد وتعيش وتموت؛ وعندما تقوم من الأموات ستعيش من جديد، ومن أية ناحية من أورشليم سيأتي، هل من الشرق أم من الغرب؟ هل من الشمال أم من الجنوب؟ قُل لنا بالضبط: فيردّ على ذلك بوضوح قائلًا: «الله يأتي من تيمان (أي الجنوب) والقدّوس من جبل فاران المظلّل والكثيف » (حبقوق٣:٣ يوناني). هذا ما قاله مؤلّف المزامير: «لقد وجدناه في قريّة الغاب» (مز ٦: ١٣١).

العهد القديم في الكتاب المقدس (٨٣)

خامسًا : حزقيا وأيامه الأخيرة:

قام حزقيا بنهضة فيها استيحاء الروح الدينية. كما عمّت المملكة في عهده إصلاحات عملت على تجديد وجه المملكة ورفع روحها المعنوية، وصاحبت عهده نهضة أدبيّة، وكان مَلِكًا تَقيًّا طَهَّرَ البلاد من النفوذ الوثني، وكان أشعياء النبي في عهده مُكرّمًا ومستشارًا للملك، ومع أنه كان ملكًا ناجحًا إلّا أنه وقَعَ في حماقة جَلَبَت عليه توبيخ النبي، بأن أظهر خزائن المملكة وتُحَف القَصر أمام رُسل **مردوخ بلادان ملك بابل** مما كان سببًا فيما بعد أن تخضع المملكة لسلطان بابل التي نهبت كنوز المملكة وأخذت بنيها أسرى، وقد عاش حزقيا خمسة العشر عامًا التي أضافها الله إلى عمره، يحكم مملكته بسلام، وأنقذ الموت حزقيا من مذّلة الأشوريين، وَدُفِنَ مُكَرّمًا في قبور بني داود.

الفترة الثالثة

استمرّت ٩٠ سنة حَكَمَ فيها ثلاثة ملوك هم:

منسّى وأمون ويوشيا

منسّى: (٦٩٩–٦٣٤ ق.م.) (٢مل٢١: ٢ ، أخ٣٣: ١–٢٠)

خَلَفَ أباه حزقيا على عرش يهوذا وكان حُكمه أطوَل حُكم في تاريخ المملكة دام ٥٥ سنة، لكنه كان حاكمًا سيّئًا إذ كان منسّى ليهوذا مثل ما كان أخاب لإسرائيل، فقد دفع المملكة إلى الحضيض، فلم تَدُم إصلاحات حزقيا الملك وإشعيا النبي؛ فقد كان في البلاط حزبٌ وثني جَرَّ الشعب الى عبادات وثنية **للبعل وَمَلُوك وعبادة النجوم** تلك العبادات الوثنية التي اقترنت بالرذيلة والزنى والسِّحر والعادات الوحشيّة بتقديم الذبائح البشريّة من الأطفال. وأُغرِقت أورشليم في الدماء، ويخبرنا التقليد اليهودي أن أشعياء النبي قُتِلَ في عهد منسّى، وكان واحدًا من رجال الله الذي نُشروا بالمنشار (عب١١: ٣٧).

ودفع منسّى الجزية **لسنحاريب ملك أشور** الذي حاصَر أورشليم وبعد آنسحابه اغتاله اثنان من ابنائه، ومَلَكَ ابنه **أسرحدون** (٦٨٠–٦٦٨ق.م.) على عرش أشور، واستمر منسّى خاضعًا لأشور يقدّم الجزية إلى **أشور بانيبال** (٦٨٠–٦٦٨ ق.م.) خليفة أسرحدون على العرش الأشوري.

وكان حُكم منسّى أسوأ حُكم بين ملوك يهوذا مما جَلَبَ غضب الله على المملكة، واشتعلت ثورات الغضب في نفوس الشعب بسبب أن منسّى زَوَّد جيش أشور بجنود من رجال يهوذا، وذلك أثناء حربه ضدّ مصر، وأُسِرَ منسّى ورُحِّلَ إلى بابل وقضى فترة بها، وتذلّل منسّى وتواضع أمام الله وهو في الأسر؛ وعاد في ندم يرفع قلبه أمام الله، فأعاده إلى مملكته ووقف بشجاعة في وجه الوثنية يُطَهِّر منها المملكة حتى موته. وقد جاء اسم منسّى في سجلات أسرحدون بين أسماء الملوك الذين هزمهم ملك أشور وهو يماثل ما جاء في (٢أخ٣٣: ١١)، ويظهر في نقوش أشور بانيبال (٦٨٨–٦٢٧ ق.م.) إسم منسّى ملك يهوذا وحادثة سَبيه إلى بابل.

وقد وضعت كنيستنا المقدّسة صلاة منسّى في فترة الصوم الكبير ضمن صلاة النوم الكبرى المعروفة بصلاة «يا ربّ القوّات»

أَيُّهَا الرَّبُّ الضَّابِطُ الكُلّ، إِلَهُ آبائِنَا إِبرَاهِيمَ وَإِسحَقَ وَيَعقُوبَ وَنَسلِهِم الصَّالِح. يَا مُكَوِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرضِ وَكُلِّ نِظَامِهِمَا، يَا مَن أَخضَعَ البَحرَ بِأَمرٍ مِنهُ، وَأَقفَلَ اللُّجَةَ باسمِهِ المهيبِ المجيدِ. يَا مَن يَرتَعِدُ الجَمِيعُ وَيَرتَجِفُ أَمَامَ قُدرَتِهِ، لأَنَّ جَلالَ مَجدِكَ لا يُحتَمَلُ، وَإِنذَارَكَ الخَطَأَةَ لا يُقَاوَمُ عِندَ غَضَبِكَ، وَرَحمَتَكَ الَّتِي وَعدتَ بِها لا تُدرَكُ. أَنتَ هُوَ الرَّبُّ العَلِيُّ، الحَنُونُ، الوَاسِعُ الأَنَاةِ، الكَثِيرُ الرَّحمَةِ، وَالتَّوابُ على ذُنُوبِ النَّاسِ. أَنتَ، يَا رَبِّ، بِكَثرَةِ لُطفِكَ، وَعدتَ المذنِبَ إِلَيكَ بالتَّوبَةِ وَالغُفرَانِ. وَبِغَزَارَةِ عَطفِكَ أَقمتَ تَوبَةً لِخَلاصِ الخَطَأَةِ. فَأَنتَ، يَا رَبِّ، يَا إِلَهَ القُوَّاتِ لَم تُقِمْ تَوبَةً للصدِّيقِينَ: إِبراهِيمَ وَإِسحقَ وَيَعقُوبَ الَّذين لَم يُخطَأوا إِلَيكَ، بَل أَقمتَهَا لِي أَنا الخَاطِئَ، لأَنِّي خَطِئتُ أَكثَرَ مِن عَدَدِ رَملِ البَحرِ. تَكَاثَرَت آثَامِي، يَا رَبِّ، تَكَاثَرَت آثَامِي.

فَمَا أَنَا بِأَهلٍ لأَنْ أَنظُرَ وَأُحدِّقَ فِي عُلُوِّ السَّمَاءِ لِكَثرَةِ مَآثِمِي، وَهَا أَنَا مُنحَنٍ لِكَثرَةِ قُيودِي الحَدِيدِيَّةِ، فَلا أَقدِرُ أَنْ أَرفَعَ رَأسِي وَأَجِد لِي رَاحَةً، فَلَقَد أَثَرتُ غَضَبَكَ، وَأَثِمتُ أَمَامَ عَينَيكَ، وَلَم أَعمَلْ بِمَشِيئَتِكَ، أَو أَحفَظْ أَوَامِرَك. والآنَ أَحنِي لَكَ رُكبَةَ قَلبِي، مُتَوَسِّلًا إِلَى لُطفِكَ: خَطِئتُ، يَا رَبِّ، خَطِئتُ، وَأَنَا عَارِفٌ بِإِثمِي. لَكِنِّي أَسأَلُكَ مُتَضَرِّعًا: إِغفِرْ لِي، يَا رَبِّ، إِغفِرْ لِي وَلا تُهلِكنِي فِي خَطِيئَتِي، وَلا تَحفَظْ شُرُورِي سَاخِطًا إِلَى الأَبَدِ. وَلا تَحكُمْ عَلَيَّ فِي العَالَمِ السُّفلِيّ. فَأَنتَ اللهُ إِلهُ التَّائِبِين، وَفِيَّ تُظهِرُ صَلاحَكَ، وَتُخَلِّصُنِي بِكَثرَةِ رَحمَتِكَ، أَنَا غَيرَ المُستَحِقّ. فَأُسَبِّحُكَ طَوَال أَيَّامِ عُمرِي. فَإِيَّاكَ تُسَبِّحُ قُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ، وَلَكَ المَجدُ إِلَى دَهرِ الدَّاهِرِين.

قصة حقيقية — تضحية أُم — من واقع الحياة

هذه هي القصة الحقيقية لتضحية أُم أثناء الزلزال الذي ضرب الصين.

بعد أن هدأ الزلزال، وعندما وصلت فرق الإنقاذ إلى أنقاض منزل امرأة شابة، وجدوا جسدها الميت من خلال الشقوق. ولكن كان وضعها بطريقةٍ ما غريبًا، فقد ركَعَت على ركبتيها وكأنها شخص في وضع عبادة. كان جسدها يميل إلى الأمام، وكانت يداها وكأنهما تدعمان كائنًا ما، وكان البيت المُنهار قد حطَّم ظهرها ورأسها.

ومع العديد من الصعوبات، وضع قائد الفريق المُنقِذ يده داخل فجوة ضيقة في الجدار للوصول إلى جسم المرأة. وكان يأمل أن تكون هذه المرأة لا تزال على قيد الحياة. ولكن مع ذلك، جسمها البارد والمتيبِّس كان يقطع بأنها قد وافتها المنيَّة بكل يقين.

وغادر قائد فريق الإنقاذ وبقيه الفريق هذا البيت، وكانوا في طريقهم للبحث في المبنى المنهار التالي. ولكن لبعض الأسباب، كان قائد الفريق مدفوعًا، لسببٍ مجهول ودافعٍ قاهر، أن يعود إلى البيت المنهار حيث المرأة الميتة. ومرة أخرى، جثا على ركبتيه واستخدم يديه لإدخالهما من خلال الشقوق الضيِّقة، للبحث في المساحة الصغيرة التي تحت الجثة. وفجأة، صرخ بشيء من الانفعال:

– ''يوجد هنا طفل! يوجد هنا طفل!''.

وبدأ الفريق بأكمله في العمل معًا، وبعناية أزالوا أكوامًا من الركام المتناثر حول المرأة الميتة. كان هناك وليد صغير، عمره ثلاثة أشهر، ملفوفًا في بطانية تحت جسم والدته الميتة.

من الواضح أنَّ المرأة قد بذلت أقصى تضحية لإنقاذ ابنها من الموت. فعندما رأت منزلها يتهاوى، جعلت من جسدها غطاءً لحماية ابنها. كان الوليد الصغير يغطُّ في نومٍ عميق بسلام، عندما التقطه قائد الفريق.

وبسرعة جاء الطبيب ليفحص الوليد الصغير. وبعد أن رفع عنه الغطاء، رأى هاتفًا محمولًا داخل البطانية.
كان هناك نص رسالة ظاهرة على الشاشة تقول:

– ''إذا كنتَ قد استطعتَ البقاء على قيد الحياة، فيجب أن تتذكَّر أنني كنتُ أُحبُّك''.

وتداولت الايدي هذا الهاتف المحمول . وكل من قرأ الرسالة، كان يبكي.

''إذا كنتَ قد استطعتَ البقاء على قيد الحياة، فيجب أن تتذكَّر أنني كنتُ أُحبُّك''. هذا هو حب الأُم لطفلها!

† «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها. حتى هؤلاء يَنْسَيْنَ وأنا لا أنساكِ» (إش ٤٩: ١٥).

† «لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦).

† «بهذا أُظهِرت محبة الله فينا: أنَّ الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به. في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبَّنا، وأرسل ابنه كفَّارة لخطايانا» (١يو ٤: ٩، ١٠).

† «أَم أيُّ إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزًا، يُعطيه حجرًا؟ وإنْ سأله سمكةً، يُعطيه حيَّة؟ فإنْ كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تُعطوا أولادكم عطايا جيِّدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات، يهب خيرات للذين يسألونه!» (مت٧: ٩-١١)

† «هذه هي وصيتي: أن تحبُّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم. ليس لأحدٍ حُبٌّ أعظم من هذا أن يضع أحدٌ نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥: ١٢، ١٣).

† «لأن المسيح، إذ كُنَّا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعيَّن لأجل الفُجَّار. فإنه بالجَهْد يموت أحدٌ لأجل بارٍّ. ربما لأجل الصالح يجسُر أحدٌ أيضًا أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاةٌ، مات المسيح لأجلنا» (رو ٥: ٦-٨).